عبد الوهاب الطريري

حديث الغدير

مع سيدنا

علي بن أبي طالب عليه السلام

في غدير خُم

تقديم

سماحة العلامة السيد علي الأمين

من كنت مولاه فهذا علي مولاه

وسم للمعرفة و الثقافة

الطبعة الثانية

حديث الغدير

©Hadis el-gadir
ISBN: 978-605-71319-7-3

وسم للمعرفة و الثقافة

+90 551 163 82 25
wasmbookstore.com
wasm.bookstore@gmail.com
WasmBookstore
Wasm_Bookstore

www.altriri.net
altriri@gmail.com
/altriri
@Abdulwahab.altriri
/c/AbdulwahabAltorairy
t.me/altriri
abdulwahabaltriri
+905467723779

الطبعة الثانية
1444هـ - 2022 م

وسم للمعرفة والثقافة ـ اسطنبول ـ تركيا
Fatih, Aksemseltin mahallesi, Haliciar Cd, No 18, Istanbul

عبد الوهاب الطريري

حديث الغدير

مع سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام في غدير خم

تقديم

سماحة العلامة السيد علي الأمين

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى شيعة أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب عليه السلام،

المتبعين له، والصادقين معه،

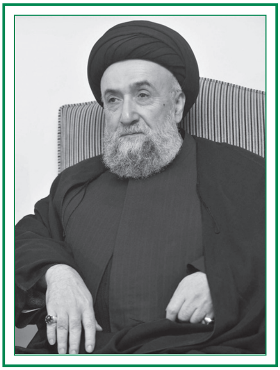
إلى كل قلب أترع حباً له، وتلهف شوقاً إليه،

إلى كل من أحب حبيب الله

وحبيب رسوله صلى الله عليه وآله،

وبشراك بشراك؛ فإن المرء مع من أحب.


من كنت مولاه فهذا علي مولاه



تقديم
سماحة العلامة السيد علي الأمين
(حفظه الله)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار الميامين وعلى جميع عباد الله الصالحين.

وبعد... فقد شرّفني الأخ العزيز صاحب الفضيلة الشيخ عبد الوهاب الطريري حفظه الله تعالى بالاطلاع على ما كتبه حول حديث الغدير، هذا الحديث الذي اكتسب أهميّة كبيرة في حياة المسلمين باعتباره مناسبة جمع فيها الرسول عليه الصلاة والسلام المسلمين العائدين من حج بيت الله الحرام، وبعد أن كان قد أخبرهم بقرب موعد رحيله عن الدنيا إلى جوار ربه ملتحقاً بالسابقين من الأنبياء والمرسلين. وكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً انتظر فيه المسلمون ما يبلغهم به رسول ربهم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وحصل التبليغ لهم من رسـول الله يومئذٍ عندما أخذ بيد علي ورفعها قائلاً: «مَنْ كُنْتُ مَـوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ» وقد فرح المسـلمون المجتمعون بهذه البشـرى وأقبل على أبي الحسـن عليّ بعض الصحابـة المقربين بتهنئتـه بهذا الوسـام وبهذه المكانة له، كما ورد في بعض الأخبار.

وقد اسـتعرض صاحب الفضيلة فـي كتابه الحديث بأسلوبه الأدبي الرفيع الذي يزيد القارئ شوقاً إلى المزيد من المعرفة عن هذه الحادثة مكاناً ومضموناً.

وقد تحدّث في هذا الكتاب عن الحديث سنداً ودلالةً متوخّياً سبل الإنصاف في إظهار حقيقة ما جرى ودلالاته من خلال النصوص والوقـائع التـي واكبـت الحـدث وما جرى بعده.

وهو بهذه الدراسـة المتميّزة بالدّقّة والسلاسة يحاول أن يضع هذه المسـألة التي وقع فيها الاختلاف فيما بعد بين المسـلمين على بسـاط البحث الموضوعي المجرّد لكشف أسباب الخلاف بين الفريقين المختلفين فيها.

ولا شـكّ في أن دراسـة المسـائل الخلافيـة بهذا الأسـلوب الذي قام به صاحب الكتاب يساهم في كشف

الحقائق وفـي تقليص دائـرة الاختلاف بين المسـلمين ويقرب من وجهات النظـر المتباعدة مـن خلال عرض الآراء المختلفة والاطلاع عليها.

ولذا فإني أدعو أهل العلم والتأليف في الموضوعات الإسـلامية إلى اعتماد هذا النهج في دراسـة المسـائل الخلافية، كما وأدعو إلى مطالعة هذا الكتاب والتأمل في مضامينه وغاياته.

جزى الله خيراً صاحب الكتاب على جهده وشكر له سـعيه ونفـع الأمـة بعلمه، وآخـر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بيروت: ٩ صفر ١٤٤٤هـ ـ ٢٠٢٢/٩/٥م

شكر وتقدير

أشكر مشايخي وإخوتي الذين عبر الكتاب أمام أعينهم في طور التكوين، فأفدتُ منهم استدراكاً أو إضافة، فسدَّدتُ وأكملتُ، فهم شركاء فيما هو مسطور بين يديك:

أخي الشيخ حمد الغماس؛ فهو الذي أهداني فكرة الكتاب قبل نحو عشرين سنة، ثم راجعه فأضاف إليه أفكاراً مهمة استتم بها، فهو مؤلِّف الكتاب قبل مؤلِّفه، ومتمِّمه بعد تأليفه، أحتسبُ له أجره؛ فهو الذي سنَّه ودلَّ عليه.

وسماحة العلامة السيد علي الأمين، والذي تفضل بقراءة الكتاب ثم التقديم له.

والشيخ د. الشريف حاتم العوني؛ فقد اقترح إضافات مهمة ألحقتُها في أماكنها.

والأستاذ أحمد الكاتب والذي استفدت من كتاباته ومحاضراته في هذا الموضوع.

وشيخي الشـيخ صالح الشامي، وأسـتاذي د. أحمد البراء الأميري، وأخي الأديب الناقد حسين بافقيه، وأخي د. عبد الله الصبيح، وأخي الشـيخ خالـد الوصابي؛ على الملاحظات والتصحيحات التي أفادوا بها فاستدركتُها.

كما أشكر الإخوة الفضلاء الذين ساعدوني في تتبع الأثر والوقوف على مكان الغَدِير والتعرف على ما حوله: الشـيخ د. أحمد النعماني، والشـيخ سـالم الغانمي، والأستاذ منصور الأنعم.

والجغرافي المكـي أ.د. معراج مـرزا، الذي أمدني بالخرائط والصور الجوية والمسافات الهوائية.

فلهم جميعاً الشكر والثناء، وصادق الدعاء.

مقدّمة

مُيَمِّماً وجهَه شـطرَ مدينة أحبَّته وأحبَّهـا.. مودِّعاً مدينةً غفت في قلبه منذ أن تركها قبل سـنوات مجافياً قلبه هناك..

يحوُطه الرِّفاق والأصدقاء.. وكل خُطوة يرفعها يعرف أنه لن يعود مرة أخرى لها..

ذهاب بلا عودة..

العمر معدود.. الساعات متلاحقة سريعة..

الكلمات مزدحمة.. كان يرتِّبها بعناية فائقة..

منهَكٌ هـذا الجمع بعد رحلة يضع فيهـا آخر النقاط على جملة اكتملت..

يقف بين مكة والمدينة..

على الغَدِير..

هذا الغَدِير يتَّسع لكل تعبهم.. وقف واستوقف.. نادى وجمع.. وهناك حمله الجمع على قلوبهم قبل أن يحمله مرتفع من الأرض..

يعبر الصحابة بعينيه تباعاً، وكلٌّ له مزيَّته، وكلٌّ يأتي أولاً.. إلا حبيبه ورفيقه وفداؤه عليٌّ عليه السلام جاء هذه المرة قبل الأول.. فكانت الكلمات له، والحضور له، والغَدِير ينصت شاهداً على تتويجه..

بآذان صاغية واعية، وعيون متطلِّعة مستطلعة، ورقاب تختلف لترى حبيبها صلى الله عليه وآله، كان الجمع مهيباً، والكلمات جسورة واضحة، فما نسيه قلبٌ وعاه قلبٌ آخر.. وما نسيه البشر حفظه الحَجَر..

على الغَدِير ذاته فَرَشْتُ بساط الكلمات.. أستقرئُ بعض غيابها.. أبحث عن مكان عليٍّ عليه السلام في قلوب أصحابه.. أبحث عن مكانته في قلوبنا..

على الغَدِير.. نقف بأرواحنا، كما وقف الذين استوقفهم نبيُّنا صلى الله عليه وآله..

وننصت بمشاعرنا، كما أنصت الذين استنصتهم..

فنتلقَّى بقلوبنا حبّــاً وتعظيماً لما قالــه نبيُّنا، ونتلقَّى بعقولنا تفكُّراً واعتباراً فيما رُوي لنا عنه في هذا الموقف.

فلا مشـــاعر القلوب تحجب تفكُّر العقل، ولا تفكُّر العقل يطفئ وهج المشاعر..

فإلى دَوْحات الغَدِير، فثمة حَــدَثٌ وحديث، وبلاغ ووصــاة.. وهتاف بلوعـة الــوداع فـي آخـر خُطَبه... في آخر عمره...

عَبْدُالوَهَّاب الطُّرَيْرِي

المدينة النبوية المنورة

(١٤٣٧/٢/٢هـ)

: +905467723779

: +966504455117

: altriri@gmail.com


من كنت مولاه فهذا علي مولاه

غَـدِيـرُ خُــمٍّ

في «غَدِير خُمٍّ» كان تتويــج الفضائل لأمير المؤمنين أبي الحســن عليٍّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلم تُعلَن فضيلته في «غَدِير خُمٍّ»، وإنما تُوِّجت فضائلُه التي كانت تُشــرق تباعــاً؛ فهو الذي عهد إليــه النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنــه «**لَا يُحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ**»[1].

وهو الذي قال له النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَـةِ هَــارُونَ مِنْ مُوسَــى؟ غَـيْـرَ أَنَّــهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»[2].

وهو الــذي قال لــه النبــيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «**أَنْتَ مِنِّــي وَأَنَا مِنْكَ**»[3].

---

(١) «مسند أحمد» (٦٤٢، ٧٣١)، و«صحيح مسلم» (٧٨).

(٢) «مســند أحمد» (١٤٩٠)، و«صحيح البخاري» (٣٧٠٦، ٤٤١٦)، و«صحيح مسلم» (٢٤٠٤).

(٣) «مسند أحمد» (٨٥٧، ٩٣١)، و«صحيح البخاري» (٢٦٩٩، ٤٢٥١).

وهو الذي أعلن النبيُّ ﷺ أنه «**يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»(١).

ويا لله لعليٍّ وهو يمشي على الأرض ويعلم أن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ في ملئه الأعلى يحبُّه، وأن رسولَه ﷺ يحبُّه!

لقد ابتدأ تاريخ الإسلام وعليٌّ حاضرٌ في تاريخه، وتفتَّح وعيُ عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ والإسلام حاضر في وعيه.

ها هي ذي ثلاث وعشرون سنة من عمر الرسالة عاشها مع رسول الله ﷺ من أول يوم، يطويها يوماً يوماً، ويطوي معها بَذْلَه وعطاءه، وصبره وجهاده.

ثلاث وعشرون سنة قضاها مع رسول الله ﷺ الذي كان يدَّخره للعظائم، ويلاقي به الشدائد.

ثلاث وعشرون سنة لحق فيها الناسُ برسول الله ﷺ فَوْجاً إثر فَوْج، لكنَّ عليّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ كان أولهم به لحوقاً، وأشدهم به لصوقاً(٢).

---

(١) «مسند أحمد» (٧٧٨، ١١١٧)، و«صحيح البخاري» (٣٠٠٩، ٤٢١٠)، و«صحيح مسلم» (٢٤٠٤ ـ ٢٤٠٦).

(٢) ينظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٩٣٨)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨٤٣٩، ٨٤٤٠)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٤٠/١٩) (٨٥، ٨٦)، و«المستدرك» (١٢٥/٣).

مضت ثلاث وعشرون سنة وعليٌّ عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله، هو القريب حبّاً ونسباً وصهراً وجواراً.

كيف تَنْسِبُ عليّاً عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟

هل تقول: حبيبه؟ فقد قال عنه: «**يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»[(١)].

أم تقول: نسيبه؟ فهو ابن عمه شقيقِ أبيه.

أم تقول: صهره؟ فهو زوج ابنته فاطمة رضي الله عنها البَضْعة النبوية سيدة نساء العالمين، آثره بها، وأمنه عليها.

أم تقول: جاره؟ فداره أقرب دار لبيت رسول الله صلى الله عليه وآله، تحضن بيتَه بيوتاتُ النبي صلى الله عليه وآله، فهو بينها كأحدها؛ ولذا كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا سُئل عن علي عليه السلام قال: انظُرْ إلى بيته من بيوت النبي صلى الله عليه وآله[(٢)]. أي كفى بذلك قرباً ومنزلة.

إذا ذَكَر النبيُّ صلى الله عليه وآله أبناءه، فإذا هم أبناء عليٍّ رضي الله عنهم؛ يقول النبيُّ صلى الله عليه وآله: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ**

---

(١) تقدم.

(٢) ينظر: «صحيح البخاري» (٣٧٠٤، ٤٥١٥، ٤٦٥٠)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨٤٣٨)، و«صحيح ابن حبان» (٥٥٧٩)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٣٩٤٨).

بِـهِ بَيْنَ فِئَتَيْـنِ عَظِيمَتَيْـنِ مِـنَ الْمُسْـلِمِينَ»[١]، فإذا هو الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنهما.

ويقول: «إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ ابْنَيَّ هَذَيْنِ يَمْشِيَانِ، لَمْ أَصْبِرْ أَنْ قَطَعْـتُ كَلَامِي وَنَزَلْـتُ إِلَيْهِمَا»[٢]، فإذا هما الحسـن والحسين ابنا عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنهم.

وإذا ذكر صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيته ذكرهم وسماهم وعدَّهم، فعن أم سلمة: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم جَلَّلَ عَلَى الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ كِسَاءً، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي، أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً»، فَقَالَتْ أُمُّ سَـلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا رَسُـولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِنَّكِ إِلَـى خَيْرٍ»[٣]. فكان عليٌّ من أهل البيت وأهل الكساء.

كان علـيٌّ عليه السلام يمينَ رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم التـي يمدُّها، وسـيفَه الذي يضرب بـه، إذا قال المصطفـى صلى الله عليه وآله وسلم: «قُمْ يَا عَلِيُّ»؛ فإن هناك شدة سـيلقاها بعليٍّ، كما قالها له يوم بدر؛ ليكون أولَ مبارز[٤].

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٧٠٤).

(٢) «مسند أحمد» (٢٢٩٩٥)، و«سـنن أبي داود» (١١٠٩)، و«جامع الترمذي» (٣٧٧٤)، و«سنن ابن ماجه» (٣٦٠٠).

(٣) «سنن الترمذي» (٣٨٧١).

(٤) ينظر: «مسند أحمد» (٩٤٨)، و«صحيح البخاري» (٣٩٦٥ ـ ٣٩٦٩، ٤٧٤٤)، =

وقالها يوم خيبر ليأخذ الراية فكان الفتح على يديه.

وكان عليٌّ عليه السلام المؤدِّي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أمانته، حين تخلَّف في مكة يرد إلى أهلها ودائعهم[1].

وكان عليٌّ عليه السلام المبلِّغ عن رسول الله صلى الله عليه وآله رسالته يوم بعثه في موسم الحجِّ يقرأ على الناس سورة «براءة»، وينبذ إلى كل ذي عهد عهده، ويؤذنهم بأنه لن يحج بعد العام مشركٌ، ولن يطوف بالبيت عُريان[2]، فقد خلص البيت للتوحيد، وخلصت مكة للإسلام ببلاغ عليٍّ عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبعد ثلاث وعشرين سنة جاء فيها نصر الله والفتح، ودخل الناسُ في دين الله أفواجاً، وأكمل اللهُ دينه، وأتمَّ نعمته، واستكملت الأمة أداء خامس أركان الإسلام،

= و«صحيح مسلم» (٣٠٣٣)، و«سنن أبي داود» (٢٦٦٥)، و«المستدرك» (١٩٤/٣)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٦٣/٣، ٧٣).

(١) ينظر: «طبقات ابن سعد» (٢٠/٣)، و«سيرة ابن هشام» (٤٨٥/١، ٤٩٣)، و«تاريخ الطبري» (٣٨٢/٢)، و«سنن البيهقي» (٤٧٢/٦)، و«البداية والنهاية» (٤٨٩/٤).

(٢) ينظر: «مسند أحمد» (٤، ٥٩٤، ٥٩٧٧)، و«صحيح البخاري» (٣٦٩، ٤٦٥٥ ـ ٤٦٥٧)، و«صحيح مسلم» (١٣٤٧)، و«سنن أبي داود» (١٩٤٦)، و«جامع الترمذي» (٨٧١، ٣٠٩١، ٣٠٩٢).

فقضت حجة الوداع مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا بالنبي صلى الله عليه وآله يستوقفهم في طريق القُفول من حجتهم إلى المدينة، لتُتَوَّج فضائل عليٍّ عليه السلام وتُستوفى مناقبه، وتُعلى لعليٍّ عليه السلام مكانته العالية، فكان له في «**غَدِير خُمٍّ**» هذا الموقف الكريم، وتلك المنقبة العظيمة، ظاهرةً شاهرةً فلا خفاء، صريحةً بيِّنةً فلا التباس.

فإلى «**غَدِير خُمٍّ**»: نقتص الخبر، نقف وكأننا مع النبي صلى الله عليه وآله حينما استوقف الناس، وننصت وكأنا مع النبي صلى الله عليه وآله حينما استنصت الناس، لنستروي الخبر ونعيش الحدث، فثمة حديث النبي صلى الله عليه وآله عن عليٍّ عليه السلام، فما أعظم المتحدِّث صلى الله عليه وآله! وما أعظم المتحدَّث عنه عليه السلام! وما أشرف الحديث عن مكانة عليٍّ وفضله ومنزلته في نفس كل مؤمن ومؤمنة!

ما قبل الغَدِير

إن حديث الغَدِير جاء بعد مواقف من عليٍّ عليه السلام التبس فهمها على بعض الصحابة رضي الله عنهم، وعُتبى عتبوها عليه، وأَفْضَوْا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان من ثمرة المواقف التي كانت بدايتها عتباً منهم على عليٍّ عليه السلام، وموجدةً وجدوها عليه أن تُوِّجت فضائلُه وأُشهرت مناقبُه، وأُعلنت ولايتُه لكل مؤمن ومؤمنة.

ودعونا نقتص الخبر بما تأتلف به رواياته ويكتمل به سياقه[1]:

(١) ينظر: «مسند الطيالسي» (١٧٧٣)، و«سيرة ابن هشام» (٦٠٣/٢)، و«مسند أحمد» (١٣٧٤، ٢٣٥٩، ٢٣٠٣٦، ٢٢٩٦٧)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (٩٨٩، ١١٧٧، ١١٧٩، ١١٨٠)، و«صحيح البخاري» (٢٢٩٩، ٤٣٤٩، ٤٣٥٠)، و«صحيح مسلم» (١٢١٨، ١٣١٧)، و«سنن أبي داود» (١٨٦٦، ١٩٠٥)، و«جامع الترمذي» (١٧٠٤، ٣٧١٢)، و«سنن ابن ماجه» (٣٠٧٤)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨٤٢٨)، و«مسند الروياني» (٣٠٤)، و«تاريخ الطبري» (١٤٩/٣)، و«صحيح ابن حبان» (٣٩٤٤، ٦٩٢٩)، و«المستدرك» =

أرسل رسولُ الله ﷺ خالدَ بنَ الوليد رضي الله عنه بعد وقعة هَوَازن وحرب الطائف إلى اليمن، في غَزَاة لبعض القبائل المحاربة، فظفر بهم خالدٌ، وانتصر عليهم، وغنم أموالاً وسبياً، ثم أرسل إلى النبي ﷺ: أن ابعث مَن يَخْمِس الفيء.

فأرسل النبيُّ ﷺ عليّاً عليه السلام؛ ليستتم الفتح، ويقبض الغنائم فيُخَمِّسُها[1]، وكتب معه كتاباً إلى القبائل، يعرضه عليهم قبل القتال، وأمره أن يخيِّر جيش خالد رضي الله عنه: أن مَن شاء منهم أن يرجع فليرجع، ومَن شاء أن يُتِمّ المسير مع عليٍّ عليه السلام فله أن يُتِمّ.

= (١٢٩/٢ ـ ١٣٠)، (١١٠/٣)، و«حجة الوداع» لابن حزم، و«سنن البيهقي» (٥١٦/٢)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٣٩٨/٥ ـ ٣٩٩)، و«تاريخ دمشق» (١٨٩/٤٢ ـ ٢٠٠)، و«الروض الأنف» (٥٠٥/٧)، و«البداية والنهاية» (٢٩٥/٧، ٣٩٠ ـ ٣٩٢، ٦٦٥ ـ ٦٦٨)، (٥٩/١١ ـ ٦٤)، و«فتح الباري» لابن حجر (٦٦/٨)، و«السلسلة الصحيحة» (٢٢٢٣)، و«كأنَّك معه، صفة حجة النبي ﷺ».

(١) التخميس في اللغة هو: جعل الشيء خمسة أخماس، ويراد به هنا: إخراج خُمُس الغنيمة قبل قسمتها بين الجيش. ينظر: «المصباح المنير»، و«تاج العروس» مادة: «خ م س»، و«الموسوعة الفقهية الكويتية» (٥٩/١١).

وينظر في ضبطها: «لسان العرب» (٧٠/٦) «خ م س»، و«حاشية السندي على مسند أحمد» (٣٤٩/١٣).

وكان هذا أسلوباً معروفاً في الجيش؛ بحيث يتعاقب المقاتلون في المعارك، ولا يطول غيابهم؛ فيشق ذلك عليهم.

فمضى عليٌّ عليه السلام وتسلَّم من خالد رضي الله عنه قيادة الجيش وما غنم، وعرض عليهم الرجوع لمَن رغب منهم، ومَن شاء مضى معه، فعاد مَن عاد، وبقي مَن رغب البقاء.

وتسلَّم عليٌّ عليه السلام الغنائم، واستتمَّ الفتح، فلما دنا من هَمْدان خرجوا إليه وتصافوا، فصلَّى عليٌّ عليه السلام بمَن معه، وصفَّهم صفّاً واحداً، ثم تقدَّم بين يدي الجيش، حتى دنا من القوم، فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ودعاهم إلى الإسلام، فأسلموا جميعاً، فكتب عليٌّ عليه السلام بإسلامهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما قُرئ عليه الكتابُ خرَّ ساجداً، ثم قال: «**السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ**».

وخَمَس عليٌّ عليه السلام المغانم التي غنمها الجيش، وكان في السَّبْي جاريةٌ حسناءُ، فلما خَمَس المغانم صارت في الخمس، ثم خَمَس فصارت في آل بيت النبي، ثم خَمَس فصارت في آل عليٍّ، فتسرَّى بها عليٌّ عليه السلام، ورآه مَن في الجيش يخرج من خِبائه وقد اغتسل وغطَّى رأسه، ورأسه يقطر ماءً، فوقع ذلك في نفوس بعض الجيش، ورَأَوْا في ذلك استئثاراً من عليٍّ عليه السلام عليهم.

وقال بُريدة بن الحُصيب الأَسْلمي ﵁ ـ وكان في نفسه شيء على عليٍّ ـ لخالد بن الوليد ﵁ وكان أيضاً ممن يحمل في نفسه على علـيٍّ: أَلَا تــرى إلى هذا ما يصنــعُ؟! فقال خالدٌ لعليٍّ: يا أبا الحســن، ما هذا؟ فقـال عليٌّ: ألــم تـر إلــى الوَصِيفة التــي كانت في السَّبْي، فإني قسَمت وخَمَسْتُ فصارت في الخُمُس، ثم صـارت في آل محمد صلى الله عليه وآله، ثــم صــارت في آل عليٍّ، فوقعتُ بها.

فكتب خالدٌ ﵁ إلى النبي صلى الله عليه وآله كتاباً يخبره فيه بما صنع عليٌّ، فقال بُريدة: ابعثني مصدِّقــاً لكتابك. فبعثه خالدٌ بالكتاب.

قال بُريــدة ﵁: فلمــا قدمتُ على رســول الله صلى الله عليه وآله ذكرتُ عليّاً فتنقَّصتُــه، ثم قلتُ: إن عليّــاً أخذ جاريةً من الخُمس. وجعلتُ أقرأ عليه الكتابَ، وأقول: صدق خالد، صدق، وكنتُ رجلاً مِكْباباً ـ أي: أطرق برأسي ولا أرفعه وأنا أتحدَّث ـ فرفعتُ رأسي، فرأيتُ وجهَ رسول الله صلى الله عليه وآله قد تغيَّر واحمَرَّ، فأمسك بيدي والكتاب، وقال: «**يَا بُرَيْدَةُ، أَتُبْغِضُ عَلِيًّا؟**». قلتُ: نعم يا رسولَ الله. قال: «**فَلَا تُبْغِضْهُ، وَإِنْ كُنْتَ تُحِبُّهُ فَازْدَدْ لَهُ حُبّاً؛ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ،**

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَنَصِيبُ آلِ عَلِيٍّ فِي الْخُمُسِ أَفْضَلُ مِنْ وَصِيفَةٍ وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ».

قال بُريدة رضي الله عنه: فما كان أحدٌ من الناس بعد قول رسول الله صلى الله عليه وآله أحبَّ إليَّ من عليٍّ.

ولعل ما وقع في نفس بُريدة وخالد رضي الله عنهما قد وقع في نفس غيرهما من الجيش، وأن ما كتب به خالدٌ هو ما يتحدَّث به غيرُه.

وكان جيش عليٍّ قد رَأَوْا أن إبلهم قد جَهِدت، فسألوا عليّاً عليه السلام أن يركبوا من إبل الصدقة ويحملوا عليها، ويريحوا إبلهم، فأَبَى عليهم، وقال: إنما لكم منها سهمٌ كما للمسلمين. فلعل ذلك وقع في نفوسهم أيضاً.

وفي هذه الأثناء كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله قد سار من المدينة إلى مكة لحجَّة الوداع، وكان عليٌّ عليه السلام قد فرغ وانطلق من اليمن راجعاً، فأراد أن يتعجَّل؛ ليدرك الحجَّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وليسوق ما معه من بقية هَدْي النبي صلى الله عليه وآله، فأمَّر على الجيش رجلاً من أصحابه، وأسرع هو ليلحق برسول الله صلى الله عليه وآله، ويدرك الحجَّ معه، وأحرم بإحرام كإحرام رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: اللهمَّ إني أُهِلُّ بما أَهَلَّ به رسولُك.

فوصل والنبيُّ ﷺ في مكة قد طاف وسعى، ونزل في الأَبْطح، وحلَّ أصحابُه الذين لم يسوقوا الهَدْي، فدخل على زوجته فاطمة بنت رسول الله وكانت قد حَلَّت من عمرتها، فوجدها قد لبست ثياباً مصبوغة، واكتحلت، وطيَّبت بيتها، فعجب من حالها، وحِلِّها من إحرامها، وسألها عن ذلك، فقالت: أبي أمرني بذلك. فذهب عليٌّ عليه السلام محرِّشاً أباها عليها، كما يصنع الشَّبَبَة من الأزواج، فأخبر رسولَ الله ﷺ أن فاطمةَ قد حلَّت واكتحلت وتطيَّبت ولبست ثياباً صَبِيغاً، وزعمت أنك أمرتها بذلك يا رسولَ الله؟ فقال ﷺ: «**صَدَقَتْ، صَدَقَتْ، صَدَقَتْ، أَنَا أَمَرْتُهَا بِهِ**». ثم قال لعليٍّ: «**بِمَ أَهلَلْتَ؟**». قال: قلتُ: اللهمَّ إني أُهِلُّ بما أَهَلَّ به رسولُك. وكان معه الهَدْي، فقال له: «**فَلَا تَحِلَّ**». فاستتمَّ عليٌّ عليه السلام الحجَّ مع النبي ﷺ في مناسكه ومشاعره.

فلما كان يوم النحر أمر النبيُّ ﷺ بهَدْيه، وكان مجموع ما ساقه النبيُّ ﷺ وما قدم به عليٌّ عليه السلام من اليمن مئة من الإبل، فقال النبيُّ ﷺ: «**أُدْعُوا لي أَبَا حَسَن**». فجاء عليٌّ عليه السلام، فأمره النبيُّ ﷺ أن يُمسك بأسفل الحربة، وأمسك هو بأعلاها، وجعل النبيُّ ﷺ يطعنها في نحورها، وهي تتدافع بين يديه أيها يبدأ به أولاً.

فلما نحر النبيُّ ﷺ ثلاثاً وستين منها، بعدد سِنِي عمره المبارك أمر عليّاً أن يتولّى وحده نحر ما بقي، وأشرك النبيُّ ﷺ عليّاً معه في هديه، وأمره أن يقوم على توزيعها على الناس، فقال له: «**اقْسِمْ لُحُومَهَا وَجِلَالَهَا وَجُلُودَهَا بَيْنَ النَّاسِ، وَلَا تُعْطِ جَزَّاراً مِنْهَا شَيْئاً، نَحْنُ نُعْطِيهِ مِنْ عِنْدِنَا، وَخُذْ مِنْ كُلِّ بَعِيرٍ حُذْيَةً[١] مِنْ لَحْمٍ، ثُمَّ اجْعَلْهَا فِي قِدْرٍ وَاحِدَةٍ؛ حَتَّى نَأْكُلَ مِنْ لَحْمِهَا وَنَحْسُو مِنْ مَرَقِهَا**».

وفي مشهد إمساك عليٍّ عليه السلام الحربةَ خلف النبي ﷺ وما يستلزمه ذلك من تقارب الجسدين الطاهرين ما يدل على تقارب الروحين وموادة القلبين.

إنه مشهد في التقارب لا يكاد يقع بين الإخوة الأشقاء، فضلاً عن الأصحاب والأصدقاء، ولكن الله أكرم عليّاً عليه السلام؛ ليرتقي إليه حُبّاً وقرباً من رسول الله ﷺ.

ولعل لمشهد إمساك عليٍّ عليه السلام بأسفل الحَرْبة خلف النبي ﷺ وهو ينحر هَدْيه بعدد سِنِي عمره تأويلاً لحياة عليٍّ عليه السلام مع رسول الله ﷺ، وأن الرسولَ ﷺ قضى

(١) الحُذية من اللحم: أي القطعة منه. ينظر: «النهاية» (١/٣٥٧).

عمره في رسالته، وعليٌّ عليه السلام معه يحوطه من خلفه، ويدفع من أمامه، ولذا شاركه في نحر الهَدْي الذي كان يوافي العمر النبوي المبارك، كما شاركه في هذا العمر دعوته وجهاده.

ثم انظر كيف أشرك النبيُّ صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام في الهَدْي، ولم يشرك ابنته فاطمة ولا زوجاته رضي الله عنهن، على قربهن وقرباهن، ولا أشرك أحداً من أصحابه.

ويكتمل المشهد المشاعري بين النبي صلى الله عليه وآله وعليٍّ عليه السلام عندما تتخيَّل جلوسهما إلى قِدْرٍ واحدة فيها لحم هديهما ومرقه وهما يأكلان من اللَّحْم ويرشفان من المَرَق، إنها ليست كأي جلسة على خِوَانٍ أو وليمة طعام، إنهما يأكلان من قربانهما الذي اشتركا في التقرب به إلى الله سبحانه وقد استتما أعظم عبادة في أعظم يوم في أشرف مكان، تطفر من القلوب مشاعر الفرح بإتمام الحجِّ، يتعاطيان غبطة الفرح بحبٍّ، ومشاعر الحب بفرحٍ.

ربَّاه! كيف أتصور هذه المشاعر في أقرب قرب، وأكرم حب، والله إني أتخيل المشهد كأني انتقلتُ إلى ذاك الزمان، ووقفتُ في ذلك المكان، وكأني أنظرُ بعيني إلى ما أتخيله، فإذا اللفتات التي تبدو بسيطة عابرة تتجلَّى

عميقة مؤثِّرة، فأشــعر أن قلبي يجيش بمشاعر غامرة، لن أتكلَّف وصفها.

ولكن تخيل أنت ذاك المشــهد، وانظــر وكأنك تراه، وستتذوق ذاك الشعور وتعرف تلك المشاعر.

فتقول لنا هذه المشاهد كلها: لقد كان عليٌّ من النبي بمكان.

إن ذلك كله تطبيق النبي ﷺ لقوله لعليٍّ عليه السلام: «**أنْتَ مِنِّي، وَأنَا مِنْكَ**»[1].

فصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا وعلى آله.

ودعونا نعــود الآن إلى جيش عليٍّ الــذي خلَّفه، فقد ســاروا على إثره إلى مكة، ويبدو أن الرجــل الذي أمَّره عليٌّ عليه السلام عليهم كان رجلاً ســهلاً، يغلبــه الجيش على ما يريدون، ولذا ســألوه ما كان عليٌّ منعهم منه، وهو أن يرتحلوا إبل الصدقة ويريحوا إبلهــم، فأجابهم ولم يعلم بنهي عليٍّ عن ذلك فارتحلوها، وكساهم حُلَلاً من البَزِّ[2] الــذي كان مع عليٍّ عليه السلام، فلما قضى علــيٌّ حجته قال له

(١) تقدم.

(٢) البَزُّ: الثِّيَابُ. ينظر: «لسان العرب» (٥/ ٣١١).

النبيُّ ﷺ: «**أُخْرُجْ إِلَــى أَصْحَابِكَ حَتَّى تَقْــدُمَ عَلَيْهِمْ**». فخرج عليٌّ عليه السلام يتلقَّاهم، فاستقبلوه وعليهم الحُلَل، فقال لنائبه: ويلك، ما هذا؟ قال: كسوتُ القومَ؛ ليتجمَّلوا به إذا قدموا في الناس. قال: ويلك، انزع قبل أن تنتهي بهم إلى رسول الله ﷺ. فنزع الحُلَل وردَّها في البَزِّ.

ثم رأى علــيٌّ عليه السلام في إبــل الصدقة خلــلاً وجهداً، وعرف أنها قد رُكبت، ورأى أثر المركب، فلام أميره على ذلك أيضاً.

ورأى الجيش في عمل عليٍّ عليه السلام ذلك غلظة وتضييقاً، وعزم بعضُهم أن يذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، وأن يخبروه بما فعــل عليٌّ، وأنــه قد أغلظ لهــم وضيَّــق عليهم فيما يحسبون، واشتكى الناسُ ذلك الذي صنعه عليٌّ عليه السلام.

وربما كان سبب عتب الجيش وشكواهم أن نفوسهم قد تعلَّقت بما وُهب لهم، فشقَّ عليهم انتزاعه منهم.

ويظهر أن العتب ليس من بُريدة وخالد رضي الله عنهما فقط، فقد ورد أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[1]، ويظهر أنها نظرة عمَّت في أغلب الجيش، ومقالة فشت فيهم كلِّهم.

(١) ينظر: «دلائل النبوة» للبيهقي (٣٩٨/٥)، و«تاريخ دمشق» (٢٠٠/٤٢) وغيرها.

ولعل من أسباب شيوع العَتْب على عليٍّ عليه السلام أن عامة الجيش كانوا حديثي عهد بالإسلام، وليس لديهم من فقه الجهـاد وأحكام الغنائـم ما عند علـيٍّ عليه السلام، ولذا عالج النبيُّ صلى الله عليه وآله ذلك بخطاب عام يستل السخائم، ويبيِّن قدر عليٍّ عليه السلام، ويُعلي مكانته، وأن مَن كان بهذه المكانة فهو أعلى من أن تلحقه تهمة أو يتبعه عَتْب.

وإذا نظرنا إلى فعل عليٍّ عليه السلام وجدناه مسـدَّداً مصيباً في كل ما فعل:

فالوَصِيفة التي تسرَّى بها لم يأخذها من عرض المغانم قبل أن تقسم، ولم ينتزعها من أحد كانت في نصيبه ويستأثر بهـا دونه، ولكنـه خَمَّس الغنائـم، فوقعت فـي الخُمُس، وخَمَّـس الخُمس، فوقعـت في نصيب آل رسـول الله، ثم خَمَّس فوقعت فـي نصيب آل علي، فتصـرَّف فيما هو من نصيبه، ولذا قال النبيُّ صلى الله عليه وآله لبريدة رضي الله عنه: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَنَصِيبُ عَلِيٍّ فِي الْخُمُسِ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، لَنَصِيبُ عَلِيٍّ أَكْثَرُ مِنْ وَصِيفَةٍ**». فلا عتب عليه حينئذ ولا ملامة.

وأما الثياب التي أُخذت من البَزِّ، فهي مما لم يُقسـم للجيش، واسـتعمالها في السـفر إخلاق لها، وعليٌّ عليه السلام أعلـم منهم وأفقه بأحـكام الغنائم؛ فهو الذي سـبق إلى

الجهاد مع رسول الله ﷺ من أول غزوة غزاها، وقد علم منه حرمة الغنائم، وحرمة ما لم يُقسم منها، ولذا بادر إلى انتزاعها منهم؛ لأنهم لبسوا ما لم يقسم لهم، وما تتعلَّق به حقوق لغيرهم.

وكذا حمايته لإبل الصدقة أن تجهد في حمل أو ركوب؛ لأنها نصيب الفقراء والمساكين ومَن لهم حق فيها، فكان عليٌّ عليه السلام يرعى أموال وحقوق هؤلاء الذين لا يستطيعون حماية حقهم لبُعدهم وضعفهم، وأن على الجيش أَلَّا يريحوا إبلهم بإجهاد إبل الصدقة، ولذا قال عليه السلام: إنما لكم منها سهمٌ كما للمسلمين. أي: ليست لكم خاصة، ولكن للمسلمين المستحقين لها نصيبهم الذي لا يجوز التعدِّي عليه، فلا يجوز أن توزَّع بعد ذلك على مستحقيها وهي هَزْلى مجهودة.

ورضي الله عن أبي الحسن، فما انتزع الثياب ليقتنيها ولا ليتاجر بها، ولكن لأنها نصيب مَن هو أحق بها وأحوج إليها، ولا أراح إبل الصدقة لأن له بها حاجة أو نصيباً، فهو ممن تحرم عليهم الصدقة.

وعتب الصحابة الذين كانوا في الجيش على علي عليه السلام يشبه عَتب الأنصار على رسول الله ﷺ عندما

قسم غنائم حُنين، فأعطى المؤلَّفة قلوبهم من الخُمُس المئات من الإبل، ولم يعط الأنصار، فوجدوا في أنفسهم، حتى جمعهم النبيُّ ﷺ، وبيّن أنه يتألَّف مَن لم يتمكَّن الإيمان من قلوبهم، ووكلهم إلى ما جعل اللهُ في قلوبهم من خير، وأنه إذا قَسَّم على الناس الإبل فقد قَسَّم لهم نفسه، فهو معهم إذا تفرقت بالناس الطريق، وهو الذي سينقلبون به إذا انقلب أولئك الإبل والغنم، ثم قال: «فَوَاللهِ مَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ»[(١)]، فرضوا وطابت نفوسهم رضي الله عنهم.

مع أنه ﷺ أعطى المؤلَّفة قلوبهم ولم يعط قرابته وآل بيته، ولا أعطى السابقين من أصحابه، ولا استبقى شيئاً لنفسه!

رضي الله عن أبي الحسن، فهو الذي عبرت حياته على الكفاف من العيش، والاقتصاد في متع الحياة، فأشواقه كانت هناك في الملأ الأعلى، وكان أشبه الناس حياةً بحياة النبي ﷺ، بيته كبيوت النبي ﷺ متقارب الجدر، متطامن السقف، قليل المتاع، لا خادم في بيته،

(١) «صحيح البخاري» (٣١٤٧، ٣٧٧٨، ٤٣٣٠ ـ ٤٣٣٤)، و«صحيح مسلم» (١٠٥٩).

فزوجته سيدة نساء العالمين، تطحن على الرَّحى حتى مَجِلتْ يدها(١)، وتكنس بيتها حتى اتسخت ثيابها، وتخبز على التنور حتى أثَّر في وجهها، وتستقي الماء بالقربة حتى أثَّر في عاتقها!

وكان رسولُ الله ﷺ يعلم بحالهم، ومع ذلك لم يؤثرهم بعطاء، ولم يختصهم بمال، ولكن آثرهم بأجر الآخرة الباقي على متاع الدنيا الزائل.

فهذه ابنة المصطفى وزوج علي وسيدة نساء العالمين عليها السلام تذهب إلى أبيها رسول الله ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها، حتى تسأله أن يُخْدِمَها خادماً من سَبْي قُدِم به عليه، يكفيها مؤونة العمل، فلم تجد النبي ﷺ، ولما بين فاطمة وعائشة رضي الله عنهما من المحبة والموادة والمكاشفة أخبرتها بسبب مجيئها، وأفضت إليها بحاجتها، ثم رجعت إلى بيتها.

فلما عاد النبيُّ ﷺ إلى بيته عِشاءً بادرت عائشةُ رضي الله عنها فأخبرته بمجيء فاطمة عليها السلام وحاجتها.

(١) مَجِلت اليد: إذا يبس باطنها وغلظ وظهر فيه ما يشبه البَثْر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة. ينظر: «النهاية» (٤/٣٠٠)، و«حاشية السندي على مسند أحمد» (١/٤١٤).

فذهب النبي ﷺ من فوره إلى فاطمة في بيت زوجها، فأتاهما وقد أخذا مضاجعهما من الليل، قال عليٌّ عليه السلام: وعلينا خَمِيصة، إذا تغطَّينا بها طولاً بدت جنوبنا، وإذا تغطَّينا بها عرضاً بدت أرجلنا ورؤوسنا. فأردنا أن نقوم، فقال: «**مَكَانَكُمَا**». فجلس بينهما النبيُّ ﷺ وهما مضطجعان، قال عليٌّ عليه السلام: حتى وجدتُ برد قدمه على صدري، ثم قال: «**أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟**». قلنا: بلى. فقال: «**إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرَا اللهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ، وَاللهِ لَا أُعْطِيكُمَا وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوَى بُطُونُهُمْ مِنَ الْجُوعِ**[١]**، لَا أَجِدُ مَا أُنْفِقُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ أَبِيعُهُمْ وَأُنْفِقُ عَلَيْهِمْ أَثْمَانَهُمْ**»[٢].

بهذا التعليم النبوي تعلَّم عليٌّ وفاطمة عليهما السلام.

وبهذه التربية النبوية تربَّى عليٌّ وفاطمة عليهما السلام.

ثم فتح الله على نبيِّه ﷺ، فقسم الإبل بالمئات، ولكنه لم يقسم لعليٍّ عليه السلام، ولم يؤثره ولم يخصّه.

---

(١) أي: خالية بطونهم من الجوع، لم يأكلوا. ينظر: «النهاية» (١٤٦/٣).

(٢) «صحيح البخاري» (٣١١٣، ٣٧٠٥، ٥٣٦١، ٦٣١٨)، و«صحيح مسلم» (٢٧٢٧، ٢٧٢٨)، و«سنن أبي داود» (٢٩٨٨، ٥٠٦٢، ٥٠٦٣) وغيرها.

وقسم المال حَثْواً حَثْواً بالثياب، ولكنه لم يَحْثُ لعلي عليه السلام.

وأقطع بعض الصحابة أراضي ومعادن، ولكنه لم يقطع عليّاً عليه السلام موضع عصا فما فوقه.

وعاش عليٌّ عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله كما كان يعيش رسولُ الله بساطةً وتواضعاً، وكفافاً وتقشُّفاً.

ثم عاش عليه السلام بقية عمره بعد رسول الله صلى الله عليه وآله على ذات الحال التي عاشها مع رسول الله، مع اتِّساع الدنيا وانفتاحها بعده صلى الله عليه وآله حين انفسحت الأرض بالفتوح، وأَغْدَقت خيرات الدنيا على الناس، فصاروا يهدِبونها[1]، إلا عليّاً عليه السلام فقد بقي على الحال التي فارق عليها رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولما ولي الخلافة وصارت الأموال كلها بين يديه، لم يرزأ المسلمين شيئاً من دنياهم، ولا تخوَّض في أموالهم، وما نقل عنه في أمر المال هو التحرِّي لا التجرِّي[2].

(١) أي: يجتنون ثمرتها. ينظر: «النهاية» (٢٥٠/٥).
(٢) ينظر: «فتح الباري» (٣٠٩/١٢).

وكان لا يجتمع في بيت المال بالكوفة مال إلا نادى في الناس فقَسَمه بينهم، حتى إنه أعطى الناس في عام واحد ثلاث أُعطيات، ثم قدم عليه خراج أَصْبهان، فقام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، اغدوا إلى العطاء الرابع فخذوه، فإني والله ما أنا لكم بخازن. فقسمه بينهم، ثم أمر ببيت المال فكُنس، ثم رُشَّ بالماء، فصلَّى فيه ركعتين، ثم قال: يا دنيا، غُرِّي غيري.

وكان أعرف الناس بالدنيا، وأزهدهم فيها، ولذا كان يقول للدنيا: «إليَّ تشوَّفتِ، إليَّ تَغَرَّرْتِ، غُرِّي غيرِي، قد طلَّقتك ثلاثاً؛ فعمرُك قصير، ومجلسُك حَقِير، وخَطَرُك يسير»[1].

ولم يكن زهد الإمام علي عليه السلام جهلاً منه بطُرق التنعم، ولا عجزاً عنه، ولكنه إيثار الآخرة على الدنيا، والنظر في حقوق الناس في المال، وتأخير حقه، ولذا قال ـ كما في «نهج البلاغة» ـ: ولو شئتُ لاهتديتُ الطريق

(١) ينظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٢٩٠٠)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (٨٨٢، ٨٨٤، ٩٠٥)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (٣٩٣٤)، و«تاريخ دمشق» (٤٠١/٢٤)، (٤٧٧/٤٢ ـ ٤٧٨). وخطرك: أي قدرك ومنزلتك. ينظر: «النهاية» (٤٦/٢).

إلى مصفَّى هذا العسل، ولُباب هذا القمح، ونسائج هذا القزِّ، ولكن هيهات أن يغلبَني هوايَ، ويقودَني جشعي إلى تخيُّر الأطعمة؛ ولعلَّ بالحجاز أو باليمامة مَن لا طَمَعَ له في القُرْص، ولا عَهْدَ له بالشِّبع[1].

يالله انظر إلى قوله: ولعل بالحجاز أو باليمامة مَن لا طَمَعَ له في القُرْص، ولا عَهْدَ له بالشِّبع، وقارنه بقول النبي ﷺ له ولفاطمة رضي الله عنهما لما سألته خادماً: «**وَاللهِ لَا أُعْطِيكُمَا وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوَى بُطُونُهُمْ مِنَ الْجُوعِ**»[2]. لترى كيف فَقِهَ عليٌّ عليه السلام عن رسول الله ﷺ، وسار على أثَرِه، واقتفى طريقته.

ولذا عبرت سنوات خلافته وهو يقسم الأموال، حتى ما يُبقي في بيت المال منها شيئاً، لكنه ما بنى لنفسه قصراً، ولا اتَّخذ ضِياعاً، ولا تأثَّل مالاً.

ولم يكن له إلا عطاؤه القليل المخصَّص لأمير المؤمنين في بيت المال، فلما استشهد أعلن سيِّد المسلمين وأمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنهما كشف

(١) ينظر: «نهج البلاغة» (٣٦٩/١٦).
(٢) تقدم.

حساب بثروة أبيه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: ما ترك ديناراً ولا درهماً، إلا سبعمئة درهم، أخذها من عطائه، أرصدها ليشتري بها خادماً لأهله[1].

يا لله، أخذها من عطائه، أي: من مُرتَّبه من بيت المال، فلم يكن هذا المبلغ ليجتمع عنده ولا يتوفر له.

بل إن سنوات الخلافة التي أفضت إليه في آخر عمره ما كان فيها شيء من سطوة السلطة وزَهْوها، أو نعيم ثرائها وبَذَخِها، لكنها كانت سنوات كَبَد وجَهْدٍ وكَدَر، حتى لتظن أنها من أشق سنوات عمره عَلَيْهِ السَّلَامُ، قطعها وهو يكابد جمع الفرقة، ودفع الفتنة، ولَمَّ الشَّعَث، ويسوس جيلاً لم يدرك ما أدركه مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فكابد الفتن والأهواء.

وكما نال عليٌّ شرف صحبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقرابته وصهره، والجهاد في سبيل الله معه، ثم نصرة الدين مع الخلفاء من بعده، فقد أجرى الله على يده أيام خلافته قمعَ

(١) ينظر: «طبقات ابن سعد» (٣٧/٣)، و«الزهد» لأبي داود (١٠٥)، و«مسند البزار» (١٣٣٩)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨٣٥٤)، و«مسند أبي يعلى» (٦٧٥٨)، و«صحيح ابن حبان» (٦٩٣٦)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٧١٩، ٢٧٢٢، ٢٧٢٣)، و«تاريخ دمشق» (٥٨٠/٤٢، ٥٨١) وغيرها.

بدعة الخوارج، وهم أخطر نابتة سوء خرجت من بين المسلمين على المسلمين، وتحقق على يده وعيد النبي ﷺ بقتالهم وقتلهم حيث قال: «**لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»[1]، فأبطل دعواهم بالمناظرة، وأزهق باطلهم بالمقاتلة، ونال أجر قول النبي ﷺ: «**اقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[2]، فقاتلهم أمير المؤمنين في النهروان، ورأى فيهم العلامة التي أخبره النبي ﷺ بها.

فعَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، فَإِنَّ الحَرْبَ خَدْعَةٌ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[3].

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٣٤٤).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٦١١).

(٣) «مسند أحمد» (٩١٢)، و«صحيح البخاري» (٣٦١١).

وعَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، قَالَ: قُلْتُ لِشَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ: حَدَّثَنِي عَنْ ذِي الثُّدَيَّةِ، قَالَ: لَمَّا قَاتَلْنَاهُمْ قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: اطْلُبُوا رَجُلًا عَلَامَتُهُ كَذَا وَكَذَا فَطَلَبْنَاهُ فَلَمْ نَجِدْهُ، فَقُلْنَا لَهُ لَمْ نَجِدْهُ، فَبَكَى، فَقَالَ: اطْلُبُوهُ فَوَاللهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِبْتُ، قَالَ: فَطَلَبْنَاهُ فَلَمْ نَجِدْهُ، فَبَكَى، فَقَالَ: اطْلُبُوا فَوَاللهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِبْتُ، فَطَلَبْنَاهُ فَلَمْ نَجِدْهُ، قَالَ: فَرَكِبَ بَغْلَتَهُ الشَّهْبَاءُ فَطَلَبْنَاهُ، فَوَجَدْنَاهُ تَحْتَ بُرْدِي فَلَمَّا رَآهُ سَجَدَ(١).

فكانت خلافته جهاداً آخر لحياطة الأمة واستصلاحها، ولَمِّ ما تفرق منها، حتى خضب سيفُ الفتنة وجهَه الكريم بالدم وهو يمشي إلى صلاة الفجر.

إن عليّاً عليه السلام غُرَّة المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، حتى قَضَوْا نحبهم، وما بدّلوا تبديلاً.

فهو تربية النبي صلى الله عليه وآله، صُنع على عينه، ودَرَج في بيته، وتفتح وعيه واشتد عوده في البيت الذي أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً، حيث يتنزل جبرائيل، ويتتابع الوحي، وتتلى آيات الله والحكمة.

---

(١) «مسند البزار» (٥٦٤).

وهو حِــبُّ النبي الــذي أحبه، ورضاه الــذي رضيه، وما أحب ﷺ إلا طيباً، وما رضي إلا مرضياً.

وكل قَدْحٍ في علي وحاشــاه، هو قدْحٌ في النبي الذي رباه، وأحبه، وارتضاه.

إن علياً عليه السلام من الذين جاهدوا وبذلوا، ثم أَفْضَوْا إلى ربهم خِفافاً، لم يتعجَّلوا شيئاً من أجورهم؛ ليستوفوها في الآخرة عطاءً كريماً من مولى كريم.

إننا إذا أحببنا علياً عليه السلام، فإنا نحــب مَن يحبه اللهُ في ملكوته الأعلى، وإذا أحببنا علياً عليه السلام، فإنا نحب مَن كان رسولُ الله ﷺ يحبه ويستعلن بحبه.

وإذا أحببنا عليّــاً عليه السلام أحببنا مَن كان مِن رســول الله وكان رسولُ الله منه؛ إذ قال له المصطفى ﷺ: «**أنْتَ مِنِّي، وَأنَا مِنْكَ**»[1].

وإذا أحببنا عــليّاً عليه السلام وتولَّيــنــاه، فإنا نحقِّق بذلك ولاية رسول الله ﷺ الذي قال: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**»[2].

(١) تقدم.

(٢) سيأتي.

وإذا أحببنا علياً عليه السلام، فإنا نرجو أن نكون بذلك حقّقنا إيماننا، فهو الذي عهد إليه النبيُّ صلى الله عليه وآله أنه لا يحبُّه إلا مؤمنٌ، ولا يبغضه إلا منافقٌ[1].

وإذا أحببنا علياً عليه السلام، فقد أحببنا مَن شهد له الرسولُ صلى الله عليه وآله وهو يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة، فقال: «**وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ**»[2]. فعسانا نُصِيبُ بحبِّنا له مرافقته في الجنة، فإن «**الْمَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»[3].

(١) تقدم.

(٢) «مسند أحمد» (١٦٢٩، ١٦٣١)، و«سنن أبي داود» (٤٦٤٩)، و«جامع الترمذي» (٣٧٤٨)، و«سنن ابن ماجه» (١٣٣) وغيرها.

(٣) «صحيح البخاري» (٦١٦٨ ـ ٦١٧١)، و«صحيح مسلم» (٢٦٤٠) وغيرها.

غَدِير خُمٍّ، الزمان والمكان

أما الزمان: فيوم الأحد، الثامن عشر من شهر ذي الحِجَّة، سنة عشر من الهجرة، الموافق (١٦ مارس آذار، سنة ٦٣٢م)، وقد فرغ النبيُّ ﷺ من حجة الوداع، وودَّع الناس، وقال: «**لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا**»(١). فتفرَّق الناسُ كلٌّ ذهب في وجهه، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الناس ينفرون من منى إلى وجوههم(٢). أي: إلى ديارهم ومنازل قبائلهم، وبقي مع النبي ﷺ أهلُ المدينة ومَن كانت منازلهم في طريقه ووجهته.

---

(١) «مسند أحمد» (١٤٥٥٣)، و«صحيح مسلم» (١٢٩٧)، و«سنن أبي داود» (١٩٧٠)، و«جامع الترمذي» (٨٨٦)، و«سنن ابن ماجه» (٣٠٢٣) وغيرها.

(٢) ينظر: «مسند أحمد» (١٩٣٦)، و«صحيح البخاري» (١٧٥٥) ـ مختصرًا ـ و«صحيح مسلم» (١٣٢٧، ١٣٢٨)، و«شرح معاني الآثار» (٢/٢٣٣)، و«صحيح ابن خزيمة» (٣٠٠٠)، و«صحيح ابن حبان» (٣٨٩٧)، و«سنن الدارقطني» (٣/٧٣)، و«المستدرك» (١/٤٧٦).

وسار رسولُ الله ﷺ من مكة صَبِيحة يوم الأربعاء الرابع عشر من شهر ذي الحجة، ووصل غَدِير خُمٍّ يوم الأحد.

وأما المكان: فغَدِير خُمٍّ، موضع بين مكة والمدينة، يبعد عن مكة (١٥٩ كم) شمالاً، وعن المدينة (١٩٦ كم) جنوباً، ويبعد عن ميقات الجُحْفة (٦,٥ كم) شرقاً، ويبعد عن رابغ (١٨ كم) شرقاً[(١)]، ويُسمَّى مكانه اليوم: الغُرَبَة[(٢)].

والوصول إليه للمسافر بين مكة والمدينة يعني قطع نصف المسافة تقريباً، وليس الغَدِير على طريق القوافل إلى المدينة، ولكنه شرق الطريق غير بعيد عنه يميل إليه المسافرون؛ لوجود الماء الذي يجتمع في الغَدِير، وأرضه سهلة منبسطة، وفيه شجر ملتف في غَيْضة تسمَّى: خُمّاً، سُمِّي الغَدِير باسمها، فقيل: «**غَدِير خُمٍّ**». ولذا فهو من أماكن نزول المسافرين للتزود بالماء ووجود الظل وانبساط الأرض.

---

(١) الأبعاد بالمسافة الهوائية بخط مستقيم، وليس بمسافة طرق السير.

(٢) ينظر: «معجم البلدان» (١١/٢، ٣٨٩)، و«معجم معالم الحجاز» (ص ١٢٤٣).

ولعل ذلك من أسباب اختياره ﷺ لخطبته؛ وذلك لانبساط أرضه وسهولتها، فيسهل اجتماع الناس فيه، وجلوسهم حول النبي ﷺ، وهو بهذا يشبه وادي عُرَنة الذي خطب فيه النبيُّ ﷺ يوم عرفة[1]، فهو وادٍ أَفْيحُ فسيحٌ دَمِثُ الأرض[2].

وعندما زُرْتُ الغَدِير في عام (١٤٣٧هـ) لقيتُ بعض المعمَّرين من كبار السن ممن وُلدوا ونشؤوا حول الغَدِير في وادي الجُحْفة، ورويتُ عنهم ما أدركوه من حالة الغَدِير قبل أن تتبدَّل حاله، وتذهب رسومه ومعالمه.

فعلمتُ منهم أن الوادي كانت به قديماً عيونٌ جارية، وأشجارٌ ملتفة، وغَيْضاتٌ ومزارع ونخيل.

وأن الغَدِير كان على شفير الوادي، ولم يكن واسعاً مستبحراً، وإنما كان متقارب الأطراف، فطوله بضعة أمتار،

(١) ينظر: «مسند أحمد» (١٨٩٦٦، ٢٠٦٩٥، ٢٢٢٦٠، ٢٣٤٩٧)، و«صحيح البخاري» (٤٤٠٣)، و«صحيح مسلم» (١٢١٨)، و«سنن أبي داود» (١٩٠٥)، و«جامع الترمذي» (١١٦٣)، و«سنن ابن ماجه» (١٨٥١، ٣٠٥٧، ٣٠٧٤)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٨٠٨ ـ ٢٨١٠)، و«صحيح ابن حبان» (١٤٥٧).

(٢) أفيح: أي واسع. ودمث: أي أرضه سهلة رخوة. ينظر: «النهاية» (٣/٤٨٤)، (٢/١٣٢).

وعرضه كذلك، يجري إليــه الماء من عين تنبع من صدع صخري فوقه فتصب فيه، وأن ماءه ساكن على قدر معين، فلا يغيض ولا يفيض، رغم اســتمرار تدفق الماء إليه من النبع، أما إذا نزل المطر وسال الوادي فإن الغدير يفيض، وتتَّسع مســاحته، حتى تصل إلى عشــرات الأمتار طولاً وعرضاً، ثم نضب ماء النبع وجفَّ الغَدِير بعد ذلك.

وفي عام (١٤٠٦هـ) جرى الوادي بســيلٍ كبير جارف دفن الغَدِير، وبقي المكان كما كان، يدل أثره على ســابق حاله، وتحكي بقيته ما كان من خبره.

أما الآن فقد رُكمَ فوقه ردمٌ ترابي، وشــيد عليه جسر خَرَساني، تمر من فوقه سكة القطار.

فلم يبق للأثر أثرٌ، ولا من المكان مكانٌ؛ إلا شــظية مطمورةٌ علــى حافة الوادي في زاوية الجســر، تبرَّع أحد العابرين فكتب عندهــا: «**غَدِير خُــمٍّ**»، وكان أولى به أن يكتب: كان هنا «**غَدِير خُمٍّ**».

ذاكرة المكان

ماذا ستذكر ذاكرة المكان لو تذكَّرت؟ وماذا ستحدِّث الأرض من أخبارها لو تحدَّثت؟ هذا ما كان يجيش في نفسي وأنا أُطَوِّف في رِباع غَدِير خُمٍّ، وكأن الحياة تسري في أحجار الجبل، وأغصان الشجر، وبطحاء الوادي، وكأن وقع الأقدام لا زال يدف حولي، ورَجْع صدى الكلمات يُدوِّي في أذني.

لقد زُرْتُ مكان الغَدِير قريباً من منتصف النهار، وهو الوقت الذي كانت فيه خطبة النبي ﷺ عنده، ووقفتُ قرب الغَدِير وتجوَّلت حوله، فاخترق الخيال حجب الزمن، فكنتُ أسيرُ وأنا أقول: لعلَّ قدماً يقعُ على قدم، كما كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: لعل خفّاً يقعُ على خفٍّ[1].

(١) ينظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٦٤٨)، و«صحيح البخاري» (٤٨٣)، و«حلية الأولياء» (٣١٠/١)، و«فتح الباري» لابن رجب (٤٢٨/٣) وغيرها.

أهنا كان رسول الله؟ أهنا دفت أقدامه؟ أهنا تضوعت أنفاســه؟ أهنا جلس وصلَّى وخطب؟ أهذه الجبال من حولي سمعت ذاك النداء النبوي؟ وتجاوبت مع صلاته وتلاوته وذكره؟: ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾.

تراءت لي أطياف الصحابة ﵃ وأنا أسيرُ حول الغَدِير وأتلفَّت إلى شجرات السَّــمُر حولي في الوادي وأتخيَّل الصحابة وهم منتشرون تحت ظلالها، ثم إذا هم يتواثبون مسرعين استجابة لنداء: «**الصلاةَ جامعةً**».

أنظرُ في انفســاح الوادي أمام ناظري، فتتراءى لي زحوف الألوف من الصحابة متراصَّة متقاربة كلهم حول رســول الله ﷺ يبادرون القرب منه، لكن أقربهم إليه وأدناهم منه علي ؑ.

أتخيلهم وهم يســتمعون لخطبة النبــي ﷺ بعيون شاخصة إليه، وآذان مصغية له، ونظرات الحب والتعظيم تشع من عيونهم، والغبطة والفرح بصحبة رسول الله تطفح على وجوههم، وكلمات رســول الله ﷺ تتلقَّاها القلوب المؤمنة قبل الآذان المصغية.

جبال المكان وأحجاره وترابه تكاد تنطق لتروي الخبر وتقُص القَصَص.

عشـــتُ الحَدَث في المكان، فكان للمــكان مكانتُه، وللمشهد عظمتُه، وللموقف رهبتُه.

ربَّاه، كل شيء هنا، يقول: كان رسول الله هنا.

خطبة الغدير

سبق هذه الخطبة تهيئةٌ وتحفيزٌ للناس؛ بدءاً من اختيار المكان المناسب لها، وهو سهل الغَدِير، واختيار اليوم الثامن عشر من ذي الحجة؛ فإن الناس قد فرغوا من حجهم، وانتهت مهمتهم التي قصدوها وشُغلوا بها، وخرجوا من مكة ولم يدخلوا المدينة بعدُ فينشغلوا بأمور دنياهم التي تنتظرهم، فهم في حال صفاء ذهني وتَهَيُّؤٍ لاستقبال القول وضبطه، وكذا اختيار الوقت، وهو بعد صلاة الظهر، وهو وقت يقظة وانتباه بعد راحة وإجمام، وهو بهذا يشبه وقت خطبة الجمعة، وكانت أغلب خطب النبي ﷺ المهمة في المدينة في هذا الوقت بعد صلاة الظهر[1]، ونادى لها في الناس: «**الصَّلَاةَ جَامِعَةً**»[2]. وهو نداء الفزع وحدوث أمر يُجمع الناس له.

---

(١) ينظر: «اليوم النبوي»: «أُمسيات الرسول ﷺ».

(٢) بنصب «الصلاة» على الإغراء، و«جامعة» على الحال. ينظر: «فتح الباري» (٥٣٢/٢)، و«شرح صحيح مسلم» للنووي (٨٠/١٨).

وهُيِّئ لرسول الله ﷺ مكان خطبته، فكُنس له مكانٌ بين شــجرتي سَمُر، ورُفع منه ما يتســاقط عادة من شوك الشجر وأعواده، وأُلقي عليها كساء يُظلِّه؛ لشدة الحر ذلك اليوم، وجُمع له الناس، فرجع إليه مَن كان متقدِّماً، ولحق به مَن كان متأخِّراً.

فجاءهم ﷺ وعليٌّ معه إخالُه ممسكاً بيده، فصلَّى بهم الظهر وعلــيٌّ خلفه، ثم قــام فيهم خطيبــاً وعليٌّ وِجاهه، فحمدَ اللهَ، وأثنى عليه، ثــم وعظ وذكَّر، فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، هَلْ بَلَّغْتُ؟**». قالوا: نعم. قال: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ**».

ثم قال: «**أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَــرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي عز وجل فَأُجِيبَهُ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللهِ عز وجل فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، مَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ وَأَخَذَ بِهِ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَــهُ وَأَخْطَأَهُ كَانَ عَلَــى الضَّلَالَةِ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**». فحثَّ على كتاب الله ورغَّب فيه، ثم قال: «**وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُــمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**».

ثم أخذ بيد علــيٍّ عليه السلام وكان أقربهم إليــه، فأقامه، فقــال: «**أَلَسْــتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّــي أَوْلَــى بِالْمُؤْمِنِيــنَ مِنْ**

أَنْفُسِهِمْ؟». قالوا: بلى. قال: «أَلَسْــتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِيــنَ مِنْ أَنْفُسِــهِمْ؟». قالوا: بلى. قال: «أَلَسْــتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟». قالوا: بلى. قال: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟». قالوا: بلى، نحن نشــهدُ، لأنت أولى بــكل مؤمن من نفسه. قال: «فَإِنِّي مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»[1].

ربَّاه! كيف كان شعور عليٍّ ومشــاعره وهذه الألوف حول رسول الله ﷺ، ولكنه هو أقربهم إليه وأدناهم منه؟!

ما شعور عليٍّ ويده في يد رسول الله ﷺ يرفعها أمام كل هذه الزحوف الألوف؟!

(١) «مصنف ابن أبي شــيبة» (٣٢١١٨)، و«مســند أحمــد» (١٨٤٧٩، ١٩٢٧٩، ١٩٢٦٥، ١٩٣٢٥)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (٩٩٢، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠٤٨)، و«مسند عبد بن حميد» (٢٦٥)، و«مســند الدارمي» (٣٣٥٩)، و«صحيح مســلم» (٢٤٠٨)، و«جامع الترمذي» (٣٧١٣)، و«سنن ابن ماجه» (١١٦)، و«السنة» لابن أبي عاصم (١٥٥٠ ـ ١٥٥٢)، و«مسند البزار» (٤٣٢٤ ـ ٤٣٢٧، ٤٣٣٦)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨١١٩، ٨٤١٠، ٨٤١٥)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٣٥٧)، و«شــرح مشــكل الآثار» (٣٤٦٤)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٥٠٢٨)، و«فضائل الخلفاء الراشــدين» لأبي نعيم (١٧ ـ ١٩)، و«المستدرك» (١٠٩/٣، ١١٦، ٥٣٣)، و«سنن البيهقي» (٢١٢/٢)، (٤٨/٧)، (١٩٤/١٠)، و«السلسلة الصحيحة» (١٧٥٠).

ما شعورُ عليٍّ ومشاعرُه وأذناه تتروَّى من قول الرسول صلى الله عليه وآله: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»؟!

أتخيلُ عليّاً عليه السلام وأحاول أن أتذوق مشاعره تلك، فكأنما يعرج به إلى الملأ الأعلى، كأنما يد رسول الله صلى الله عليه وآله ترفع يده فترفعه إلى علياء السماء، ينظر من تحته إلى الدنيا كلها، فيراها دون هذا المقام وتحت هذه الرفعة التي سما به إليها نداء رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك.

أيُّ طاقة نفسية لدى سيِّدنا عليٍّ عليه السلام احتملت هذه المشاعر ثم تمالكت وتماسكت فلم تنفرط عاطفته، ولم تطفر دموع الفرح من عينيه؟! فهذا نداء نبيِّه صلى الله عليه وآله الذي آمن به، وحبيبه الذي أحبَّه وبادله الحب، هذه كلمة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، فما قال إلا حقّاً وما نطق إلا صدقاً.

أيُّ أُفق ارتقى إليه في تلك اللحظة؟! وأيُّ سرور ملأ جوانحه بتلك الكلمة؟! إنه الشرف الذي يتطامن أمامه كل شرف، والفخار الذي يتدلَّى دونه كل فخار.

كلما تذكرتُ هذه اللحظة في حياة عليٍّ عليه السلام وحاولتُ تذوق شعوره وتخيل مشاعره، رأيتُ أن العبارة لا تكفي

للتعبير، وأن البيان يتعثر حين يحاول التصوير، فاحتشاد المشاعر في النفس أكبر وأكثر من أن تحتويها عبارة أو يصفها كلام، فقط تخيلها وحاول أن تعيش أثرها في نفسك لتقول:

عليك سلام الله يا أبا الحسن، فقد كان فضل الله عليك عظيماً، وحق لك أن تفرح بذلك وتسر، ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

عليك سلام الله يا أبا الحسن، وليَهْنِكَ فضلُ الله عليك وكرامتُه لك، وقربُك وقرباك من رسول الله صلى الله عليه وآله، فـ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

ثم يا ترى كيف كانت مشاعر صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يسمعون هتاف الرسول بلوعة الوداع: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَهُ**» فتشخص العيون الوامقة بحب، وترجف القلوب المحبة بلهف؟! إنها وصية مودِّع وعهد وداع، فكيف سيتلقّى المحبون وصاة محبوبهم في آخر عهدهم به؟

كيف كانت مشاعر الصحابة رضي الله عنهم وهم يرون عليّاً عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه المكانة والاحتفاء،

فيسمعون المناشدة له، والتأكيد لحقِّه، فيَسْتَلُّ ذلك ما كان في بعض النفوس من مَوجِدة، لَيحِلَّ محل العتب حفاوة، ومحل المَوجِدة حب، ومحل الحب مزيد من الحب؟

إن هذا الاحتفاء بعليٍّ عليه السلام يأتي والجزيرة كلها إسلامٌ، وأهلها كلهم مسلمون، وها قد وافى الحج مع رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر من مئة ألف، لا يتبعون إلا رسولَ الله، ولا يدينون إلا بدينه.

إنه موقف وفاء من رسول الله صلى الله عليه وآله لسابقة عليٍّ عليه السلام إلى الإسلام يوم أسلم وقد تردَّد أناسٌ، وأقدم وقد أدبر آخرونَ، أسلم عليٌّ عليه السلام والرسالة في إشراقها الأول، فلا عصبة ولا أَتْباع، أسلم والشرك يحيط به، والأوثان تنتصب أمامه، وليس على الأرض مسلم إلا هو وثلاثة نفر، فكانت الشمس تشرق على الأرض وعليٌّ عليه السلام فيها رُبُع الإسلام، ثم كان إسلامه إيماناً يزداد يقيناً، وإقداماً يزداد مَضَاء، وعطاؤه للدين ورسوله أعظمُ العطاء وأكرمُه وأسخاه، إنه بذل النفس، والتعرض للهلكة، والوقوف على شفير الموت؛ نصرةً للدين، وحماية للرسول والرسالة، فهو صاحب المبارزة الأولى

في بـــدر[1]، والاقتحام الظافر في الخنـــدق[2]، والنفوذ الفاتح يوم خيبر[3].

فكان في هذا الموقف وفاء لتلك الســـابقة لعلي عليه السلام الذي انطلق مع انطلاق الدعوة، وبادر إســـلامه إشـــراق الرسالة، إنه حُسْـــن العهد من رسول الله صلى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام، وهو القائل: «إِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ»[4].

لقد دخلت في الاســـلام أفواجٌ وقبائلُ وأممٌ، ولكن هؤلاء أسلموا من بعد، وعليٌّ عليه السلام أسلم من قبل، فكان الســـابق لهم كلِّهم، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾، فـــكان يـــوم الغَدِير لعليٍّ عليه السلام يوم بِرٍّ ووفاء.

(١) تقدم.

(٢) ينظر: «سيرة ابن هشام» (٢/٢٢٤ ـ ٢٢٥)، و«طبقات ابن سعد» (٢/٦٤)، و«تاريخ الطبـــري» (٢/٥٧٤)، و«المســـتدرك» (٣/٣٢)، و«ســـنن البيهقـــي» (٦/٥٠٢)، و«الكامل فـــي التاريخ» (٢/٦٧)، و«البداية والنهاية» (٦/٤١ ـ ٤٣)، و«أســـمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه» (ص١٣٠).

(٣) ينظر: «صحيح مسلم» (١٨٠٧).

(٤) ينظر: «المعجم الكبير» للطبراني (١٤/٢٣) (٢٣)، و«المستدرك» (١/١٥ ـ ١٦)، و«شعب الإيمان» (٩١٢٢، ٩١٢٣)، و«السلسلة الصحيحة» (٢١٦).

مولى كلِّ مؤمـن

الولاية بيـن المؤمنين هي الآصرة القويـة، والرابطة الوثيقة، فـكل مُؤمنٍ مولَى لـكل المؤمنين: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾، وهي موالاة تضامن ونصرة، ومودة ومحبة.

ولكن النبيَّ ﷺ خَصَّ عليّاً عليه السلام بالذكر في الولاية، مع أنها عامة بيـن كل المؤمنين، **ولهذا التخصيص دلالته العظيمة وحكمته البالغة:**

فالتخصيص يدل على تأكيد هـذه الولاية وتوثيقها، ومعناه: مَن والاني ونصرني، فليوالِ عليّاً وينصرْه.

وهذه مزية عظيمـة؛ فإن الولاية درجـات، بعضها أعلى من بعـض وأوثق، كما أن الصحبـة درجات، أَلَا ترى أن القائل: أبو بكر صاحب رسول الله ﷺ، لا يريد بهذا القول معنى صحبة سائر أصحابه له؟ لأنهم جميعاً

صحابة، فأي فضيلة له إذن في هذا القول؟ وإنما يريد أنه أخص الناس به.

والولاية بين الرسول صلى الله عليه وآله وأمته أوثق من الولاية التي بين المؤمنين بعضهم مع بعض، فجعل النبيُّ صلى الله عليه وآله مثل هذه الدرجة العالية الوثيقة من الولاية لعلي عليه السلام، ولو لم يرد ذلك ما كان لعلي عليه السلام في هذا القول فضل، ولا كان في القول دليل على شيء، فإن المؤمنين بعامة بعضهم أولياء بعض، فصار في التخصيص مزية في مزيد توثيق الولاية وتأكيدها ورفع درجتها.

وفي تخصيص عليٍّ عليه السلام بالولاية ـ مع عمومها بين المؤمنين ـ تفضيل وتشريف له عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾، فخصَّ ﴿ٱلْوُسْطَىٰ﴾ بالذكر، وإن دخلت في جملة الصلوات؛ دلالة على فضلها.

وكما خص جبريل وميكائيل عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾، وهما من جملة الملائكة، وخُصَّا بأسمائهما بالذكر؛ لما في التخصيص من التفضيل والتشريف لمقامهما، فكذلك في تخصيص عليٍّ عليه السلام بالولاية تفضيل له وتشريف لمقامه، ورفع من شأن ولايته.

وإنما خصَّ علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لحسن سيرته، وصفاء سريرته، ورسوخ قدمه، وسابقته في الإسلام والجهاد، وقربه وقرباه من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فله في ذلك شرف الدنيا والآخرة.

وفي تخصيص عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالولاية تزكية نبوية ممن لا ينطق عن الهوى، تُثبتُ إيمان عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في الباطن، والشهادة النبوية له بأنه يستحق الولاية ظاهراً وباطناً؛ فإن كل مَن أظهر الإيمان وجبت موالاته، ووُكلت سريرته إلى الله، ولكن تخصيص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لعليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ باستحقاق الولاية إشهارٌ لإيمانه؛ ليعلم الناس أن ظاهر عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كباطنه، وأنه جدير بهذه الولاية حَقِيق بها، وفي ذلك فضيلة عظيمة لعليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومثل ذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فيه: «**يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»[1]. فإن كل مسلم يحب الله ورسوله، ولكن هذه تزكية لحبِّ عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لله ورسوله، وأنه بلغ فيه الغاية صدقاً وإخلاصاً وتحقيقاً، ودليل ذلك أنْ يحبَّه اللهُ ورسولُه.

وهذه الولاية لعليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ساريةٌ عبر الزمن، ووصف ثابت له عَلَيْهِ السَّلَامُ في حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وبعد مماته، وفي حياة عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وبعد مماته.

---

(١) تقدم.

فعلــيٌّ عليه السلام اليوم مولانا بــكل فخر، ومولــى آبائنا وأبنائنــا، ومولى كلِّ مؤمــن ومؤمنة إلى قيام الســاعة، لا يتخلَّى عن ولايته إلا مخذولٌ، ولا يبغضه إلا منافقٌ، ولا ينكر فضله مؤمنٌ، ولا يجهل ســابقته وموضعه من رسول الله صلى الله عليه وآله ودين الله عالمٌ، وقد خاب وخسر مَن لم يكنْ عليٌّ مولاه[1].

فعلَى ســيِّدنا عليٍّ ســلامُ الله وبركاتُه، ورضوانُ الله ومرضاتُه، وعلى زوجته الزهراء ســيدةِ نســاء العالمين، وعلــى ذريتهما ما تتابعــت أجيالها، تحية مــن عند الله مباركة طيبة.

﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾.

اللهمَّ وعنا معهم بحبنا لهم فيك.

(١) ينظر: «تأويل مختلــف الحديــث» (ص٩٢ ـ ٩٣)، و«الهداية إلى بلوغ النهاية» (٢٩٨٥/٤)، و«تفسير الماوردي» (١٦٣/١)، و«زاد المسير» (٩١/١)، و«تفسير القرطبي» (٥١/٢)، و«تفســير الخازن» (٦٣/١)، و«فتح الباري» (٧٢/٧).

أثر خطبة الغَدِير

تلقَّى الصحابة رضي الله عنهم مقالـةَ النبي ﷺ بحفـاوة وقبول، ووعوهـا وحفظوهـا وبلَّغوها، وظهـر ذلك فـي إجلالهم لعليٍّ عليه السلام وحبِّهم له، وروايةِ فضائله، حتى قال أئمة الحديث: لم يُرْوَ في فضائل أحد من أصحاب رسول الله ﷺ بالأسانيد الصِّحاح ما رُوي في فضائل عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه [١].

١ ـ فهذا عمر رضي الله عنه يَلْقَى علياً عليه السلام، فيهنِّئه بهذا المقام، ويقول له: هنيئاً يا ابنَ أبي طالب، فقد أصبحتَ وأمسيتَ مولَى كلِّ مؤمن ومؤمنة [٢].

---

(١) ورد هذا المعنى عن الإمام أحمد، والنسائي، وإسماعيل ابن إسحاق القاضي. ينظر: «المستدرك» (٣/١١٦)، و«الاستيعاب» (٣/١١١٥)، و«طبقات الحنابلة» (٢/١٢٠)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣/١٨٨)، و«الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة» (٢/٢٥٤)، و«فتح الباري» (٧/٧٤).

(٢) ينظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٢١١٨)، و«مسند أحمد» (١٨٤٧٩)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (١٠١٦، ١٠٤٢)، و«تاريخ دمشق» (٤٢/٢٢١، ٢٣٣، ٢٣٤)، و«البداية والنهاية» (١١/٧٤)، و«تفسير المنار» (٦/٣٨٥).

ولمـا قيل لعمـر رضي الله عنه: إنك تصنـعُ بعليٍّ شـيئاً، لا تصنعه بأحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله؟ فقال: إنه مولاي[1].

٢ ـ وأثَّر حديث النبي صلى الله عليه وآله في وِجْدانهم حُبّاً لعليٍّ عليه السلام، حتى قال بُريدة رضي الله عنه ـ وهو الذي كان يبغض عليّاً قبلها ـ: فما كان من الناس أحدٌ بعد قول رسول الله أحبَّ إليَّ من عليٍّ[2].

٣ ـ وجاء رهطٌ من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري إلى عليٍّ رضي الله عنهم بالرَّحَبَة، فقالوا: السلام عليك يا مولانا. فقال: كيف أكونُ مولاكم، وأنتم قوم عُرْبٌ؟ قالوا: سمعنا رسولَ الله صلى الله عليه وآله يوم غَدِير خُمٍّ يقول: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**»[3].

---

(١) ينظر: «تاريخ دمشق» (٤٢/٢٣٥)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣/١٢٨)، و«فيض القدير» (٦/٢١٧).
وفي إسناد الحديث ضعف؛ ولذا أورده الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٠/٦٩٣) (٤٩٦١)، ولكن معناه يتسق مع ما يُروى عن عمر رضي الله عنه في شأن عليٍّ رضي الله عنه وآل البيت؛ فتقويته وقبوله أولى.

(٢) «مسند أحمد» (٢٢٩٦٧)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨٤٢٨).

(٣) ينظر: «مسند أحمد» (٢٣٥٦٣)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (٩٦٧)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٤٠٥٢، ٤٠٥٣).

٤ ـ ورضـــي الله عن الصِّدِّيــق أبي بكر الــذي قال: والذي نفسي بيده، لقرابةُ رســول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصلَ من قرابتي[(١)].

وعندما ولي الخلافة قال ـ وهو على المنبر ـ: يا أيها الناسُ، ارْقُبُوا محمداً ﷺ في أهــل بيته[(٢)]، أي: احفظوه فيهم بتعظيمهم وإكرامهم ووِدادهم وحبِّهم[(٣)].

وهل مسلمٌ يسمع مناشدة نبيِّه ﷺ: «**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**». ثم لا يكون له حفاوة وموادة لأهل البيت النبوي؟

وهل مســلمٌ يســمع نداء نبيِّه ﷺ: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**» ثم لا يكون له موالاة ونصرة لعليٍّ عليه السلام؟

قال الإمام إســماعيل بن إســحاق القاضي: قد خاب وخسر مَن لم يكن عليٌّ مولاه[(٤)].

---

(١) ينظر: «مســند أحمد» (٥٥)، و«صحيح البخاري» (٣٧١٢، ٤٠٣٥، ٤٢٤٠)، و«صحيح مسلم» (١٧٥٩).

(٢) ينظر: «فضائل الصحابة» لأحمد (٩٧١)، و«صحيــح البخاري» (٣٧١٣، ٣٧٥١)، و«مسند أبي بكر الصديق» للمروزي (٢٤)، و«مجلس من أمالي أبي بكر النجَّاد» (٦).

(٣) ينظر: «مطالع الأنوار» (١٨١/٣)، و«كشــف المشــكل» (٣٣/١)، و«فتح الباري» (٧٩/٧)، و«دليل الفالحين» (٢٠٢/٣).

(٤) ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٣٤١/١٣).

٥ ـ حَفِظَ هذا الحديث مَن حضره من أصحاب رسول الله ﷺ، وضبطوه ورووه، فهذا زيد بن أرقم رضي الله عنه حينما كبر سألوه أن يحدِّثهم عن رسول الله ﷺ، فاعتذر بأنه كبر ونسي كثيراً، فصار يخشى أن يحدِّث بما لم يضبطه، وقال لمَن سأله الحديث عن رسول الله ﷺ: يا ابنَ أخي، والله لقد كبرت سنِّي، وقدم عهدي، ونسيتُ بعض الذي كنتُ أعي من رسول الله ﷺ، فما حدَّثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلفونيه.

ولكن هذا التوقِّي وخوف النسيان لم يشمل هذه الواقعة، فقد انطلق زيدٌ رضي الله عنه يرويها، وكأنه يَرَى ما يَرْوِي، فذَكَر المكان وما فيه، ثم ذكر تفاصيل الحدث، ثم ذكر الخطبة، فاستوفى مقصدها، ولما قيل له: سمعتَه من رسول الله ﷺ؟ قال: ما كان في الدَّوْحات ـ أي دَوْحات غَدِير خُمٍّ ـ أحدٌ إلَّا رآه بعينيه، وسمعه بأذنيه(١).

إن هذا المشهد بقي راسخاً في ذاكرة زيد، حاضراً في وجدانه ووعيه، برغم كبر سنه، وقِدَمِ عهده، ونسيانه كثيراً

(١) ينظر: «مسند أحمد» (١٩٢٦٥، ١٩٢٧٩)، و«صحيح مسلم» (٢٤٠٨)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨٠٩٢، ٨٤١٠)، و«شرح مشكل الآثار» (١٧٦٥)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٤٩٦٩، ٤٩٧٠) وغيرها.

مما كـان يحفظه، لكن هذا المشــهد ليس مما يُنسى وإن قَدُم العهد؛ لما احتف به من التحفيز والتأكيد، ولما بقي له في النفوس من طيب الأثر وجميل الذكر.

٦ ـ ورواه الصحابة رضي الله عنهم، وشهدوا به لعلي عليه السلام لمّا استشهدهم؛ فقد جمع عليٌّ عليه السلام الناسَ برَحَبَة الكوفة في آخر حياته، ثم قال: أنشــد بالله كلَّ امرئ مســلم سمعَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقولُ يومَ غَدِير خُمٍّ ما سمعَ إلا قام. فقام ثلاثون من الناس، فشــهدوا حين قال رســولُ الله صلى الله عليه وآله للناس: «**أَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِــهِمْ؟**». قالوا: نعم. قال: «**مَنْ كُنْتُ مَــوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَــنْ وَالَاهُ وَعَــادِ مَــنْ عَــادَاهُ**». كلهم يقول: إنه ســمع النبيَّ صلى الله عليه وآله يقوله[1].

وناشــد عليه السلام وهو على منبــر الكوفة مَــن عنده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: مَن سمعه من النبي صلى الله عليه وآله؟ فقال: إني مُنشــدٌ اللهَ رجلاً، ولا أَنشُد إلا أصحابَ محمد صلى الله عليه وآله،

(١) ينظر: «مســند أحمــد» (٦٤١، ٩٥٠، ٩٦١، ١٩٣٠٢)، و«الســنن الكبرى» للنسائي (٨٤١٦، ٨٤٢٤، ٨٤٣٠)، و«مسند أبي يعلى» (٥٦٧)، و«صحيح ابن حبان» (٦٩٣١)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٤٩٨٥)، و«المستدرك» (١٠٩/٣) وغيرها.

مَن سمع رسـول الله ﷺ يقولُ يوم غَدِير خُمٍّ: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِـيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَـنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ**». فقام ستةٌ من جانب المنبر وستةٌ من الجانب الآخر، فشهدوا أنهم سمعوا رسولَ الله ﷺ يقول ذلك(١).

٧ ـ كثرة مَن رواه من الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ؛ فقد جاء من رواية علي بن أبي طالب، وبُريدة بن الحُصيب، وزيد بن أَرْقم، وسعد بن أبي وقَّاص، وطلحة بن عُبيد الله، وابن عباس، وأبي هريرة، وأنس بن مالك، وأبي سعيد الخُدْري، ومالك بن الحُويرث، وحُبشي بن جُنادة، وابن عمر، وجابر بن عبد الله، وأبي أيوب الأنصاري، والبراء بن عازب، وحُذيفة بن أَسِيد الغِفاري، وعمار بن ياسر، ويعلى بن مرة، وغيرهم رضي الله عنهم(٢).

ولذا عُدَّ حديث الولاية من المتواتر عن رسول الله ﷺ، فقد عدَّه من المتواتر غير واحد من العلماء، منهم: الذهبي في «سير أعلام النبلاء»، والسيوطي في «قطوف الأزهار

---

(١) ينظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٢٠٩١)، و«السنة» لابن أبي عاصم (١٣٧٣، ١٣٧٤)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨٤١٩)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (٢٢٥٤)، و«تاريخ دمشق» (٢٠٩/٤٢) وغيرها.

(٢) ينظر: «السلسلة الصحيحة» (١٧٥٠)، و«أنيس الساري» (٥٢٦٦/٧ ـ ٥٣٠١).

المتناثرة فـي الأخبـار المتواتـرة»، والكتَّاني فـي «نظم المتناثر»، والعجلوني في «كشـف الخفـاء»، والألباني في «السلسلة الصحيحة»، وغيرهم[(١)].

وقال الحافظ ابن حجر: كثيـر الطرق جدّاً، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان[(٢)].

وخصَّ بعض العلماء حديث الغَدِير بالتأليف، فتتبَّعوا طرقه ورواياته في كتب مفردة، كالإمام ابن جرير الطَّبَري، وابن عُقدة، والذهبي، وغيرهم[(٣)].

(١) ينظر: «سـير أعلام النبلاء» (٣٣٥/٨)، و«قطوف الأزهـار المتناثرة في الأخبار المتواترة» (ص١٠٠)، و«التيسير بشرح الجامع الصغير» (٤٤٢/٢)، و«كشـف الخفـاء» (٣٢٩/٢)، و«نظـم المتناثـر» (٢٣٢)، و«السلسـلة الصحيحة» (١٧٥٠)، وفيها رد الألباني على مَن ضعَّفه.

(٢) ينظر: «فتح الباري» (٧٤/٧).

(٣) ينظر: «منهاج السـنة النبوية» (٣١٩/٧ ـ ٣٢٠)، و«سـير أعـلام النبلاء» (١٦٩/١٧)، و«الرسالة المسـتطرفة» (ص١١٢)، و«تذكرة الحفاظ» للذهبي (١٦٤/٣)، و«البداية والنهاية» (٦٦٦/٧)، و«فتح الباري» (٧٤/٧).

رواية أخرى لحديث الغَدِير

ولدى طائفة من الإخوة الشـيعة الإمامية رواية أخرى لحديث الغَدِير، وسياقهم لها يختلف بين مروياتهم اختصاراً وطولاً، وإجمالاً وتفصيلاً، حتى بلغت خطبة الغَدِير في كتاب «الاحتجاج» لأبي منصور أحمد بن علي الطبرسي إحدى عشرة صفحة[1].

ولكن هذه الروايات تتواطأ على النص بالوصية لعلي عليه السلام بالإمامة، واستخلافه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن الله أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وآله بذلك، وأمره بالبلاغ، فخاف النبيُّ صلى الله عليه وآله نُفْرة الناس وعدم قبولهم لذلك، فأنزل الله عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، فخطب

(١) من صفحة (٥٥) إلى صفحة (٦٦) من الجزء الأول من كتاب «الاحتجاج».

النبيُّ ﷺ في غَدِير خُمٍّ، وأخذ بيد عليٍّ عليه السلام، وقال: «**إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخِي وَوَصِيّي وَخَلِيفَتِي وَالْإِمَامُ بَعْدِي... اسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا...**»(١).

وأن الصحابة رضي الله عنهم الذين معه قد بايعوه كلهم على ذلك، بمَن فيهم أبو بكر وعمر وعثمان والمهاجرون والأنصار وغيرُهم، وأنه بهذه الوصية والعهد كمل الدين وأنزل الله: ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا** ﴾.

وأن الصحابة الذين حضروا بيعة الغَدِير كانوا جمعاً غَفِيراً، حتى قيل: إنهم سبعون ألفاً، وقيل أكثر من ذلك، وفيهم المهاجرون والأنصار، وآل رسول الله ﷺ، وأزواجه، والقبائل المحيطة بالمدينة.

وأن مآل هذا العهد والوصاة أن نُكث العهد وأُخلفت الوصاة يوم وفاته ﷺ، بعد أربعة وثمانين يوماً من البيعة، فاغتُصب حقُّ عليٍّ عليه السلام، وأُخلف عهدُ النبي ﷺ، ونُقض ميثاقُه، وتولّى الخلافة قبل عليٍّ عليه السلام ثلاثةٌ من أصحاب النبي ﷺ الذين بايعوا عليّاً عليه السلام في الغَدِير حسب روايتهم

(١) ينظر: «الغدير» للأميني (٢١٥/١).

هذه، وأن عليّاً عليه السلام الذي أُخِذت له البيعة قد بايعهم كلَّهم، وصار وزيراً لهم.

وأُلِّفت كتب مفردة كثيرة جدّاً عن قصة الغَدِير على هذا السياق، منها: «الغَدِير في الكتاب والسنة والأدب» لعبد الحسين أحمد الأميني النجفي، المتوفى عام (١٣٩٠هـ)، في عشر مجلدات، ولعله أوسع كتاب في الغَدِير على هذا السياق.

والحق أن هذا ليس رأي الشيعة كافة، فكثير من متقدميهم لا يرون في حديث الغدير نصاً جلياً في الوصاة لأمير المؤمنين علي عليه السلام، ومنهم الشريف المرتضى والذي يعتبره نصاً خفياً غير واضح الدلالة على الخلافة فيقول: إنا لا ندعي علم الضرورة في النص، لا لأنفسنا، ولا على مخالفينا ولا نعرف أحداً من أصحابنا صرح بادعاء ذلك[١].

وكان يرد بذلك على القاضي عبد الجبار الهمداني المعتزلي الذي رد على الشيخ المفيد دعوى النص الجلي على خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام وأنه لم يكن معروفاً

(١) ينظر: «الشافي» للمرتضى (١٢٨)، و«تطور الفكر السياسي الشيعي» لأحمد الكاتب (٥٧).

عند متقدمي الشيعة، ولا اعتمده أحد منهم وأن أول من جَسَر على هذه الدعوى في حُجَّته ابن الراوندي ومن جرى مجراه[1]، وابن الروانـدي هو أحمد بن يحـي الراوندي المتوفى سنة (٢٩٠هـ)، وكان لا يستقر على مذهب ولا يثبت على رأي، فكان معتزلياً ثم رد على المعتزلة، واعتنق التشيع وكتب كتاب الإمامة، وذكر فيه أن النبي ﷺ خص في حديث الغدير علياً بالخلافة من بعده، ثم تحول بعدها إلى الزندقة والإلحاد[2].

وممن نص من متقدمي الشيعة على أن حديث الغدير ليس نصاً جلياً في الإمامة المحقق الحلي[3]، والطبرسي[4]، والطوسي[5]، وغيرهم.

(١) ينظر: «المغني» للقاضي عبد الجبار (٢٠/ ١٢٥).
(٢) ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٥٩/١٤)، و«لسان الميزان» (٣٢٣/١).
(٣) ينظر: «المسلك في أصول الدين» للحلي (٢٠٩).
(٤) ينظر: «إعلام الورى بأعلام الهدى» للطبرسي (٣٢٤/١).
(٥) ينظر: «تلخيص الشافي» للطوسي (٥٦/٢).

تأملات في رواية الوصية

وإذا نظرنـــا إلى الروايـــة التي تصـــوِّر ما جرى في «غَدِير خُمٍّ» على أنه عهـــدٌ ووصاة بالإمامة لعلي عليه السلام، والخلافةِ بعد رســـول الله صلى الله عليه وآله، وعلى أنـــه ميثاق على الأمة بالوفاء له، وتأكيد ذلـــك وتغليظه عليهم، وجعله ديناً وميثاقـــاً وعهداً عليهم، وأنهم قـــد بايعوا عليّاً عليه السلام على ذلك بين يدي الرسول صلى الله عليه وآله.

ثم رأينا عاقبة ذلك بعـــد أربعةٍ وثمانيـــن يوماً، نكثاً للعهد، ونقضاً للميثاق، وتبديلاً للوصية من كل مَن حضر وشهد وعاقد وعاهد؛ فإننا نقف وقفات تأمل يقودنا إليها تطلُّب الحق، وابتغـــاءُ إصابةِ عهد نبينـــا وحبيبنا صلى الله عليه وآله إذ أوصى، وإنفاذُ أمره إذ أمـــر، والوفاء بعهده إذ عَهِد، فنرى شـــواهد يدل عليها ســـياق الأحداث التاريخي، وبراهين ينتهي إليها التفكـــر العقلي، لا بد مـــن تأملها والوقوف

عندها؛ حتى نكون أوفياء للحب القلبي وللنظر العقلي، ونقترب ما أمكننا إلى الحقيقة التاريخية، كما وضح ذلك وشرحه العلَّامة ابن خلدون في فصل رائع في مقدمته الباهرة عن ضرورة إعمال العقل في رواية الخبر[1]؛ **فمن تلك الدلائل التي تستوقف المؤرِّخ، وتستلفت المفكِّر، فلا يمكن تجاهلها ولا تجاوزها ما يلي:**

١ ـ وأنت خبير أن إطلاق كلمة المولى في حديث الغدير لا تعني الإمامة السياسية للإمام علي؛ لأن هذه الكلمة الواردة في حديث الغدير يجب أن تكون بمعنى واحد في الحديث الواحد كما هو ظاهر من وحدة السياق، وقد قال رسول الله ﷺ في الحديث تمهيدا لإطلاق صفة المولى على الإمام علي: «.. **إِنَّ اللهَ مَوْلَايَ، وَأَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ..**»، ومن الواضح أن إطلاق كلمة المولى على الله سبحانه وتعالى ليس بمعنى الإمامة السياسية والقيادة الاجتماعية، وهذا يقتضي أن المعنى المقصود إثباته للإمام علي من عنوان المولى هو نفس المعنى المذكور في التمهيد، وهو شيء آخر غير المعنى السياسي الذي لم تكن لفظة المولى قد اكتسبته في تلك المرحلة، وإنما كان

(١) ينظر: «مقدمة ابن خلدون» بتحقيق الشدادي (١٣/١) وما بعدها.

يدل على المكانة الدينية لصاحبه، وهذا ما فهمه الصحابة من الحديث، ولم يفهموا منه القيادة السياسية كما يشهد لذلك ما روي عن عمر بن الخطــاب رضي الله عنه أنه قال للإمام علي عليه السلام بعــد ذلك: بخٍ بخٍ لك يا علــي، لقد أصبحت مولاي ومولــى كل مؤمن ومؤمنة، فهــو يهنئه على هذه الرتبــة الدينيــة الحاصلة له فــي المؤمنين مــن إعلان النبي صلى الله عليه وآله، وليس في مقام التهنئة له بالقيادة السياســية؛ لأنه لا يصح تعدد القيادة السياسية في الزمن الواحد، وقد كان القائد الفعلي بالمعنى الشــامل للسياسي وغيره هو النبي صلى الله عليه وآله، فكيف يكون الإمام عليّ عليه السلام قائداً في نفس الوقت؟ وقد فهم عمر بن الخطاب من الإعلان النبوي أن علياً أصبح بقول رسول الله صلى الله عليه وآله مولى كل مؤمن ومؤمنة، ولم يفهم منــه إعطــاء الولاية السياســية له بعــد وفاة رســول الله صلى الله عليه وآله؛ ولذلك قال له: أصبحــت؛ أي: صرت يا علي في الوقت الحاضر مولى المؤمنين، بمعنى الناصر لهم والمعيــن والحافظ، وغير ذلك مــن المعاني القريبة التي تقتضي محبته وتعظيمه وعدم العداء له، وليس منها المعنى السياسي [1].

(١) ينظر: «السنة والشيعة أمة واحدة» للسيد علي الأمين «ص ٧٨ ـ ٧٩».

٢ ـ لقد كان سيِّدنا علي عليه السلام أقوى الناس قوة، وأشجعهم شجاعة، فيا ليت شعري، ما الذي كان يمنعه إذا كان النبيُّ صلى الله عليه وآله أوصى إليه، وعقد له، وعاهد الناس على ذلك أن يقوم بين ظهراني الناس، فيصرخ فيهم، ويناشدهم بعهدهم الذي عاهدوه، والوصاة التي أوصى بها إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله، وأن يقاتل عن العهد النبوي والميثاق المحمدي، فينفذه أو يموت دونه، لو كان ثمَّ عهدٌ وميثاق؟!

هل تظن أنه يخشى الموت أو يحذر القتل؟ إنه الذي مشى للموت وتقحم غمراته كلما تردَّد غيره أو عجز، نام في فراش النبي صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة[1]، وكانت كل لحظة تمر عليه فيه يمكن أن تهبره فيها سيوف المحاصرين.

وقام إلى الموت في بدر، فكان أول مبارز.

ومشى إلى الموت في أحد، فكان أول مَن قاتل وأسقط راية المشركين.

ومشى إلى الموت في الخندق، فكان هو الذي بارز عمرو بن عبد وُدٍّ وقتله.

(١) ينظر: «مصنف عبد الرزاق» (٩٧٤٣)، و«سيرة ابن هشام» (٤٨٢/١ ـ ٤٨٣)، و«طبقات ابن سعد» (١٩٤/١)، و«مسند أحمد» (٣٠٦١)، و«المستدرك» (٤/٣ ـ ٥)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٤٦٥/٢ ـ ٤٧٠) وغيرها.

ومضى إلى الموت يوم خيبر، وهو ينشد:

أنا الذي سمَّتني أمِّي حَيْدَرَهْ[1]

كلَيْثِ غاباتٍ كريهِ المَنْظَرَهْ

أوفِيهُمْ بالصَّاع كيل السَّنْدَرَهْ[2]

فبارز مَرْحَباً وقتله، وفتح الحصن الذي امتنع على غيره[3].

وما كان عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يأسَى على شيء كما يأسَى أن يفوته قتالٌ مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وبين يديه، ولذا حزن أن يُخلِّفه النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في المدينة في غزوة تبوك، وقال: يا رسولَ الله، تُخَلِّفُني في النساء والصبيان؟ فقال له رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟**»[4].

---

(١) اسم من أسماء الأسد. ينظر: «النهاية» (١/٣٥٤).

(٢) معناه: أقتل الأعداء قتلاً واسعاً ذريعاً، والسندرة: مكيال واسع. ينظر: «النهاية» (٢/٤٠٨).

(٣) ينظر: «صحيح مسلم» (١٨٠٧)، و«المستدرك» (٣/٤٣٧)، و«سنن البيهقي» (٦/٥٠٤)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٤/٢١٤)، و«شرح صحيح مسلم» للنووي (١٢/١٨٦) وغيرها.

(٤) تقدم.

فهل تظن أن شعلة الشجاعة هذه تنطفئ في نفس علي عليه السلام فجأة، فيرى عقده يُنقض، ووصاة النبي صلى الله عليه وآله إليه تضاع، ثم لا يكون له موقف قوة وهو القوي، ولا لقاء شجاعة وهو الشجاع؟! حاشا أبا حسن أن يعجز عن حقٍّ أو يضيِّعه.

ولذا كان ابنه عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي يقول: مَن هذا الذي يزعم أن عليّاً كان مقهوراً، وأن رسولَ الله صلى الله عليه وآله أمره بأمور لم ينفِّذها؟ فكفى بهذا إزراءً على عليٍّ ومنقصةً بأن يزعم قومٌ أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله أمره بأمر فلم ينفِّذه[1].

وقال الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله، وهو يتكلم عن بيعة عليٍّ لأبي بكر رضي الله عنهما: كيف بايع عليٌّ أبا بكر؟ هل بايع مختاراً أم مكرهاً؟

فإن قيل: إنه مُكرَه، فهذا غير صحيح؛ فإن عليّاً عليه السلام أعز من أن يكرهه أحد على ما لا يريد، بدليل أنه بقي ستة أشهر لم يبايع، فما عرض له أحدٌ.

---

(١) ينظر: «فضائل الصحابة» للدارقطني (٤٠)، و«الاعتقاد» للبيهقي (ص٣٥٥)، و«الحجة في بيان المحجة» (٣٧٧/٢ ـ ٣٧٨)، و«تاريخ دمشق» (٣٧٥/٢٧).

وإن كان بايع باختياره، فهل بايع وهو يعلم أنه يبايع صالحاً للخلافة، أهلاً لها، وأنه بذلك يرضي الله؟ أم بايع ابتغاء دنيا؟

لقد كان عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أتقى لله من أن يبايع مَن لا يرى صلاحيته للخلافة واستحقاقه للبيعة. انتهى مختصراً[1].

٣ ـ في قبول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بالتحكيم، وبعثه أبا موسى الأشعري حَكَماً من قِبَله دليلٌ على أنه لم يكن ثَمَّ عهد ووصاة من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ له، فما كان له أن يُحَكِّم في عهد رسول الله الرجال، ولا أن يفاوض على عقد رسول الله وعهده.

ووصْفُ عليٍّ بالمكرَه وهو الخليفة وأمير المؤمنين، وأنه رضخ للتحكيم مجبَراً كارهاً[2] إزراءٌ به واستخفافٌ بمقامه ومواهبه وقدراته، وهل سيعهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بالخلافة إلى من يُستضعَف ويُغلَب على أمره؟ حاشا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من ذلك، وحاشا علياً أن يكون كذلك.

(١) ينظر: «ذكريات علي الطنطاوي» (٣/٣٨٦ ـ ٣٨٨).

(٢) ينظر: «الملل والنحل» لآية الله جعفر سبحاني (٥/٤١٥ ـ ٤١٧).

٤ ـ لم تأت الخلافة إلى عليٍّ عليه السلام فتجده ذاك المتشوِّف لها المنتظر لموعدها، ولكن أتته، فلم يهش لها ولم يفرح بها، وقال: دعوني، والتمسوا غيري[(١)].

٥ ـ قد عبر الإمام علي عليه السلام عن الزهد بالإمامة السياسية والعزوف عنها في مواضع عديدة؛ منها قوله عندما جاءه الناس لمبايعته بعد مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه: دعوني والتمسوا غيري، وقوله: وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً.

ومنها قوله لابن عباس عندما دخل عليه وهو يخصف نعله حيث سأله الإمام عليه السلام: ما قيمة هذه النعل يا ابن عباس؟ قال: لا شيء يا أمير المؤمنين، فقال له: هي أفضل عندي من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً.

ومنها قوله عليه السلام: إني لم أرد الناس حتى أرادوني، ولم أبايعهم حتى بايعوني، وإن العامة لم تبايعني لسلطان غالب ولا لعرض لحاضر...

(١) ينظر: «تاريخ الطبري» (٤٣٤/٤)، و«المنتظم» (٦٥/٥)، و«الكامل في التاريخ» (٥٥٦/٢)، و«نهج البلاغة» (٢٣/٧)، و«أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه» (٨٥١/٢٠).

ومنها قوله: والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها....

هذه جملة من النصوص الواردة عن الإمام علي عليه السلام بشأن الإمامة السياسية، وهناك نصوص عديدة غيرها، وهي بمجموعها واضحة الدلالة على ارتباط هذا المنصب السياسي بالبيعة التي تصدر طواعية من الناس في اختيار من يكون إماماً عليهم في نظم أمرهم وإدارة شؤونهم الدنيوية، كالدفاع عن البلاد، وتأمين السبل، وتوزيع الفيء، وجلب الخراج، وفض النزاعات، وحل الخصومات، ومعاقبة المعتدي، والانتصاف للمظلوم من الظالم.

وهذا يدلنا على أن الإمامة السياسية تختلف في مناشئها عن الإمامة الدينية، وفي دورها ومسؤولياتها.

فهي من حيث المنشأ ترتبط بعقد اجتماعي اختياري يقوم بين الراعي والرعية والحاكم والمحكوم كما أشار إليه في بعض أقواله: ... وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين، بل طائعين مخيرين... وقوله: ... وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها... وبلغ من سرور

الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير وهدج إليها الكبير..»[1].

٦ ـ من أحسن ما سمعتُه من أحد علماء الشيعة قوله: إن فترة حكم الإمام علي ليست هي مدة خلافته فقط، ولكن معها أيضاً مشاركته في حكم الخلفاء قبله.

وهذا كلام صحيح، يؤكِّده أن أبا بكر رضي الله عنه لم يرسل عليّاً عليه السلام لقيادة حروب الرِّدَّة، ولا أرسله عمر ولا عثمان رضي الله عنهما لقيادة حروب الفتوح، ولو أرسلوه لكان السيف الذي لا تُفَلُّ شَبَاته، والرُّمح الذي لا تغمز قناته، ولكنهم استبقوه في المدينة لما هو أهم، فمكانه عندهم هو غرفة التحكم ومنصة القيادة؛ ولذا فهو شريك في كل إنجازات الخلفاء قبله، بمشاركته لهم في الرأي والإدارة.

فإذا كان عليٌّ عليه السلام بهذه المكانة والمثابة، أفلا يكون أول ما يشير به ويستعلن برأيه فيه الرجوع إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله له ووصاته إليه، وأن يناشدهم الوفاء بما عاهدوا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وعاقدوه، لو كان ثمة عهد ومعاقدة؟!

(١) «السنة والشيعة أمة واحدة» للسيد علي الأمين «ص ٢٥ ـ ٢٦».

٧ ـ أين كان يصلي علي قبل الخلافة؟ هل كان يصلي في بيته؟ أم يصلي منفرداً في المسجد؟

وأين كان يصلي الحسن والحسين؟ لقد كانوا يصلون مع المسلمين في مسجد رسول الله، وخلف إمامهم، الذي كان الخليفة أبا بكر ثم عمر ثم عثمان، فهل سيصلون معهم إذا كانوا يرون أن أئمتهم غاصبين مرتدين؟!

٨ ـ إنّ علياً عليه السلام قد تولى الخلافة، وأصبح في موقف القوة، فلو كان هذا الأمر مذكوراً لصرَّح به، ولاحتج به على الذين يقاتلونه من أهل الشام.

٩ ـ كتب الإمام علي لمعاوية الذي تمرد عليه بعد تولية الخلافة: أما بعد.. فإن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام، لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكرٍ وعمر وعثمان، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار إذا اجتمعوا على رجل فسموه إماماً كان ذلك لله رضاً.

فلم يذكر عهداً ولا وصاة واستخلافاً من رسول الله صلى الله عليه وآله على تعيينه، وإنما اعتمد واحتج بما تم به استخلاف الخلفاء من قبله وهي الشورى، فكانت

الشورى هي أساس الحكم في نظر الإمام علي، وذلك في غياب نظرية النص والتعيين، التي لم يشر إليها الإمام في أي موقف[1].

١٠ ـ روى الإمام الصادق عن أبيه عن جده أنه لما استُخلِف أبو بكر جاء أبو سفيان إلى الإمام علي وقال له: أرضيتم يا بني عبد مناف أن تلي عليكم تيم؟ ابسط يدك أبايعك، فو الله لأملأنها على أبي فصيل خيلاً ورجالاً، فانزوى عنه وقال: ويحك يا أبا سفيان! هذه من دواهيك، وقد اجتمع الناس على أبي بكر، ما زلت تبغي للإسلام العوج في الجاهلية والإسلام، ووالله ما ضر الإسلام ذلك شيئاً، حتى ما زلت صاحب فتنة[2].

١١ ـ كما لم يكن الإمام علي عليه السلام يرى أن ثمة نصاً عليه وتعييناً له، فإنه كذلك لم يرها ولم يرتضها لذريته من بعده، ولذا لم يوص لابنه الحسن ولم يأخذ العهد له كما أخذ معاوية العهد لابنه يزيد.

(١) «العقد الفريد» (٥/٨٠)، و«شرح نهج البلاغة» لابن ابن أبي الحديد (٣/٧٥)، و«تطور الفكر السياسي الشيعي» (٥٩).

(٢) «الشافي» للمرتضى (٣/ ٢٣٧، ٢٥٢)، و«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد (١/ ٢٢٢).

فقد ذكر الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا عن عبد الله ابن جندب عن أبيه أنه قال للإمام علي عليه السلام: يا أمير إن فقدناك، ولا نفقدك، نبايع للحسن؟ فقال: ما آمركم ولا أنهاكم، فعدت فقلت مثلها فرد علي مثلها[١].

ولما استشهد عليٌّ عليه السلام خرج عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب إلى الناس فقال: إن أمير المؤمنين توفي، وقد ترك خلفاً، فإن أحببتم خرج إليكم، وأن كرهتم فلا أحد على أحد، فبكى الناس وقالوا: بل يخرج إلينا[٢].

١٢ ـ أوصى الإمام علي إلى ابنه الإمام الحسن وسائر أبنائه عليهم السلام وصيةً عظيمةً جامعة، ولكنه لم يتحدث فيها عن الإمامة أو الخلافة، وقد كانت وصيته دينية وأخلاقية، وهي:

هذا ما أوصى به عليٌّ بن أبي طالب، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ثم إن صلاتي ونسكي

(١) «مقتل الإمام أمير المؤمنين» لابن أبي الدنيا (٤٣).

(٢) «مروج الذهب» للمسعودي (٢/ ٤٤)، «البداية والنهاية» (٨/ ١٣)، «شرح نهج البلاغة» (٤/ ٨، ١٦/ ٢٢).

ومحياي ومماتي لله رب العالمين، بذلك أمرت وأنا من المسلمين، ثم إني أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي: أن تتقوا الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ»، وإن المَعَرَّةَ[1] حالقةَ الدين: فسادُ ذات البين، ولا قوة إلا بالله، انظروا ذوي أرحامكم فصِلوهم يهون عليكم الحساب، واللهَ اللهَ في الأيتام فلا تغيبون عن أفواههم، ولا يضيعون بحضرتكم، واللهَ اللهَ في جيرانكم، فإنهم وصية رسول الله، ما زال رسول الله يوصينا بهم حتى ظننا أنه سيورثهم، واللهَ اللهَ في القرآن أن يسبقكم في العمل به غيركم، واللهَ اللهَ في بيت ربكم، لا يخلون ما بقيتم، فإنه إن خلا لم تناظروا، واللهَ اللهَ في رمضان فإن صيامه جُنَّة من النار لكم، واللهَ اللهَ في الجهاد في سبيل الله بأيديكم وأموالكم وألسنتكم، واللهَ اللهَ في الزكاة فإنها تطفئ غضب الرب، واللهَ اللهَ في ذمة نبيكم فلا يُظلَمُنَّ بين أظهركم، واللهَ اللهَ فيما ملكت أيمانكم، انظروا فلا تخافوا في الله لومة لائم يكفكم من

(١) المَعَرَّة: الأمر القبيح المكروه والأذى. ينظر: «النهاية» (٢٠٥/٣).

أرادكم وبغى عليكم، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولي عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم، عليكم يا بني بالتواصل والتباذل، وإياكم والتقاطع والتكاثر والتفرق، ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾، حفظكم الله مِنْ أهلِ بيتٍ وحفظ نبيَّكم فيكم، أستودعكم الله، اقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته[1].

فهذا الكلام النوراني المشع من مشكاة بيت النبوة ذَكَر جوامع خصال الخير، وأمهات شعب الإيمان والبر، فكيف ذكر في وصاته تلك التفاصيل واستقصى في الوصاة من غير أن يذكر الوصية له أو يشير إليها إلا لأنه لم يكن ثمة وصاة بالخلافة ولا عهدٌ بها؟

ولذلك لم يكن لهذه الوصية أي دور في ترشيح الإمام الحسن للخلافة، لأنها كانت تخلو من الإشارة إليها، ولم تكن تشكل بديلاً عن نظام الشورى الذي كان أهل البيت يلتزمون به كدستور للمسلمين[2].

(١) «مقتل أمير المؤمنين علي» (٤١ ـ ٤٢).

(٢) ينظر: «تطور الفكر السياسي الشيعي» (٦١).

١٣ ـ جاء وصف الصحابة رضي الله عنهم في القرآن في آيات عظيمة تصف حالهم، وتذكر مناقبهم، وتحمل لكل الأجيال تزكية الله لهم، وهل أعظم من تزكية الله لأهل بيعة الرضوان: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾؟

إن الله في هذه الآية لم يزكِّ أعمالهم وأقوالهم، بل زكَّى ما لا يطَّلع عليه إلا هو عز وجل، ولا يعلمه إلا الذي يعلم ما تُخفي الصدور، ويعلم السر وأخفى، فزكَّى ما في قلوبهم: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾.

وزكَّى الأنصار الذين تَبَوَّؤا الدار والإيمان، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، في آيات كثيرة.

فأين هؤلاء الصحابة الذين زكَّاهم الله وأثنى عليهم قَلُّوا أم كثروا؟ أين هم من عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وميثاقه وما عاقد عليه؟ هل يمكن أن يوجد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أناسٌ بهذا الوصف الذي وصفه الله، ثم لا يكون لهم حماية لعهده ووفاء بعقده؟

وما أحسن ما قيل: لقد وصف الله الصحابة في القرآن وأثنى عليهم في كتابه، فإن كانوا موجودين واقعاً فمَن هم؟ وإن لم يكونوا موجودين واقعاً، فهذا لغو يُنزَّه عنه كلام الله[١].

قال الأستاذ حيدر علي قلمداران القُمي: إن هذه الآيات التي نزلت في مدح وتمجيد أصحاب رسول الله ﷺ، وأبرزهم المهاجرون والأنصار، تعارض بشدة تلك الأحاديث التي تدعي ارتداد جميع المسلمين وعودتهم إلى الكفر فور وفاة رسول الله ومفارقته للدنيا إلا الثلاثة الذين بقوا على إيمانهم بالخلافة المنصوصة لعلي!

إن المؤمن بالله والرسول والقرآن والقيامة لا يمكن أن يصدق تلك الأحاديث، فإن القرآن من عند الله، والله سبحانه وتعالى عالم الغيب والشهادة، عليم بذات الصدور، فهو يعلم بحقيقة من يمدحه في كتابه ويبشره بالفوز والفلاح، عندئذ يجب أن يكون موقفنا واضحاً من الآيات الكثيرة مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ﴾،

(١) ينظر كتاب: «شاهراه اتحاد ـ طريق الاتحاد» لحيدر علي قلمداران (٨٣ ـ ٩٨).

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، وعشرات الآيات الأخرى.. ونعود فنسأل هل كان لتلك الآيات مصاديق في عالم الخارج أم لا؟ فإن كان يوجد لها مصاديق فمن هم؟ ألم يكونوا نفس الذين اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لنصب الخليفة؟ فهل كان الله تعالى، الذي امتدحهم وأثنى عليهم، عالما بسرائرهم وضمائرهم خبيراً بماضيهم ومستقبلهم أم لا؟ بديهي أن الشق الثاني من السؤال لا يمكن لمؤمن بالله أن يلتزم به ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾! وأما إن كان عليماً خبيراً، وهو قطعاً كذلك، فمن يستطيع أن يدعي أن الله العليم الخبير مدحهم وأثنى عليهم وشهد لهم بصدق الإيمان ووعدهم بالجنات والرضوان لكنهم ارتدوا، فور وفاة نبيهم، على أعقابهم كفاراً خونة، وجحدوا أمر الله تعالى بتأمير علي عليه السلام عليهم؟!

إن تصديق رواية: لما قبض النبي ارتد الناس إلا ثلاثة أو سبعة... وأمثالها يؤدي إلى تكذيب جميع

الآيات القرآنية الكريمة السابقة، ويلزم منه اعتبار هذه الآيات القرآنية الكريمة، إما خاطئة وإما غير مفهومة، والعياذ بالله(١).

١٤ ـ لما كان يوم الأحزاب لقي المسلمون مع رسول الله ﷺ شدةً، ما مر بهم شدةٌ أشدَّ منها، فقد اجتمعت عليهم شدائد البرد والجوع والخوف والجهد، ووصف الله حالهم بقوله: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾، ولم يصف الله شدةً من شدائد الدنيا بما يشبه شدائد الآخرة إلا في هذه الآية، فإنه كوصف الآخرة، حيث يقول تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾(٢).

ولك أن تتخيَّل الصحابة رضي الله عنهم مع رسول الله ﷺ أيام الحصار جوعى، فالطعام قليل، عُراة الأبدان والبرد شديد، مجهودين من حفر الخندق والتحفُّز للقتال، في حال خوف لكثرة العدو الذي يقابلهم، ويتحفَّز لهم من

(١) باختصار من كتاب: «شاهراه اتحاد ـ طريق الاتحاد» لحيدر علي قلمداران (٨٣ ـ ٩٨).

(٢) ينظر: «صحيح البخاري» (٢٨٣٤)، و«صحيح مسلم» (١٧٨٨)، و«تفسير الطبري» (٣/٦٣٦).

أمامهم، واليهود الذين غدروا أن يأتوا من خلفهم، وهم في قلة وجهد، والمنافقون يرجفون بينهم، وقد نجم نفاقهم: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾.

يا لها من معاناة شديدة تخور فيها أصلَب العزائم وتتضعضع أقوى القلوب.

وقد كان يغني المهاجرين مع رسول الله صلى الله عليه وآله لو شَكُّوا أو ارتابوا أن يتخلَّوْا عن رسول الله في ساعة الشدة هذه، فيقفزوا الخندق، ويلحقوا بعشائرهم من المشركين، فيلحق أبو بكر ببني تَيْم من قريش، ويلحق عمر ببني عدي، ويلحق عثمان بابن عمه أبي سفيان قائد المشركين، ويقولون لهم: كنا مع محمد، وقد تركناه ولحقنا بكم، ولو فعلوا ذلك للَقَوُا من قومهم وعشائرهم الإكرام والحفاوة، ولأعادوهم وأعادوا لهم كل ما سلبوا من أموالهم.

ولكن كان أهون على أحدهم أن يحترق حتى يكون فحماً من أن تسنح هذه الفكرة بخاطره، فضلاً عن أن تكون همّاً أو عزماً، وإنما كان هتافهم في هذه الشدة ما حكاه الله عنهم وخلَّد ذكره: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾.

فهل نظن بهؤلاء الذين ثبتوا مع النبي ﷺ في هذه الشدة، ووفوا له في هذه العُسرة، أنهم ينكثون عهده، وينقضون عقده إذا مات؟

١٥ ـ لما كان يوم أحد وهُزم المسلمون، وشاع الخبر أن رسول الله ﷺ قد قُتل، نزل الغم على المسلمين، وتفرَّقوا في الشِّعْب والجبل، وفرَّ فريق منهم من ميدان المعركة، وكان ممن فرَّ عثمان بن عفان رضي الله عنه(١)، فإلى أين فروا؟ لقد كان فرارهم إلى المدينة؛ ليلحقوا بمَن بقي بها من المسلمين، وليثوبوا إلى بقية رسول الله ﷺ ففيها مسجدُه وبيتُه ومصلَّاه.

وكان بإمكان عثمان رضي الله عنه أن يلحق بالمشركين؛ فإن قائدهم ابن عمه أبو سفيان، ولو لحق به للقي الإكرام والحفاوة، وكذا غيره من المهاجرين، فلكل منهم رهط مع المشركين سيحمونه لو لحق بهم، ولكن هذا لم يكن ليسنح بخاطر أحدهم فكرةً ولا همّاً، حتى مع ظنهم أن الرسول قد قُتل، فقد بَقِيَ دينُه، وبَقُوا هم مستمسكين به.

ولذا تنزَّل القرآن يذكر فرارهم، ويعقبه بالبُشرى لهم بعفو الله عنهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا

(١) «صحيح البخاري» (٣٦٩٨، ٤٠٦٦).

ﭐسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾، لقد فرُّوا من المعركة، ولكنهم لم يرتدُّوا عن الدِّين في هذه اللحظة الحرجة المزلزلة.

أفيظن أحدٌ أن هؤلاء يمكن أن يتخلَّوْا عن دين رسول الله ﷺ وعهده بعد موته وهم الذين ثبتوا على دينه وقد شاع فيهم خبر قتله وهزيمةِ جيشه، وما صدَّهم ذلك عن استمساكهم بالدِّين، ولا هموا بالتخلِّي عن الرسالة، وإن فقدوا الرسول، حتى وهم في حال فرار عن المعركة وتولٍّ عن ميدانها؟

إن مَن استمسكوا بدينهم في هذ الموقف لا يمكن أن يتخلَّوْا عنه في موقف بعده أبداً.

١٦ ـ مشاهد الصحابة رضي الله عنهم في إيثار الحق مبهرة، **ومن ذلك**: مشهد أبي حُذيفة بن عُتبة بن رَبِيعة الذي شهد بدراً، ورأى أباه وعمه وأخاه يقتلون بأسياف المسلمين، ثم رأى أباه يُجَرُّ إلى قَلِيب بدر فيُرمى فيها، إن هذا مشهد يمكن أن تفتتن فيه أقوى القلوب وأصلبها، ولكن صلابة الصحابة في الاستمساك بالحق كانت أقوى من ذلك، ولذا وقف متغيِّر الوجه وهو يرى أباه يُجَرُّ إلى قَلِيب بدر، فيقول له الرسولُ ﷺ: «**يَا أَبَا حُذَيْفَةَ، كَأَنَّكَ سَاءَكَ مَا أَصَابَ أَبَاكَ؟**».

قال: يا رسولَ الله، ما لي أن لا أكون مؤمناً بالله وبرسوله؟ ولكن لم يكن في القوم أحدٌ يشــبه عُتبــة في عقله وفي شــرفـه، فكنتُ أرجو أن يهديه الله ﷿ إلى الإسلام، فلما رأيتُ مصرعه ساءني ذلك[1].

فهل يتصوَّر أن هؤلاء الذين هذا استمســاكهم بالحق بحيث آثروا الحق الذي استمسكوا به على آبائهم وأقرب الناس إليهم يمكن أن يتخلوا عن حــقٍّ قضاه النبي ﷺ وعقدٍ عقده واستوصاهم به من أجل أبي بكر أو غيره؟

لا والله لو كان ثمة عقد ووصاة وميثاق لما تخلوا عن الصدع بالحــق، وقد كانوا أصدق الناس فــي إيثار الحق وأشجع الناس في الصدع به.

١٧ ـ تخيل حال هؤلاء الذين يُوصفون بالغدر بعهد هذا النبــي ﷺ وميثاقه أنهم هُمْ أولئك الذين أســلموا واتَّبعوا النبيَّ ﷺ يــوم كان وحيــداً بدعوته في مكة، وكانوا على قلتهم مع النبي ﷺ في صَفٍّ والدنيا كلها أمامهم في صَفٍّ، ولم يشعروا أنهم في حيرة في خيارهم وإنما كان خيارهم محســوماً تماماً بيقينٍ، ونصاعةٍ في

(١) ينظر: «مغازي الواقدي» (١/١١١ ـ ١١٢)، و«المستدرك» (٣/٢٢٤)، و«تاريخ دمشق» (٣٨/٢٦٠)، و«إمتاع الأسماع» (١٢/١٦١).

الرؤية، فهم مع الله ورسـوله، ولو خسـروا الدنيا كلَّها، ولـذا كان تقديمهم التضحيـات تباعاً منطلِقـاً من قوة إيمان، ورسـوخ يقين بأن هذا الذي آمنـوا به وصدَّقوه واتَّبعوه هو رسـول الله حقّاً وصدقـاً، وأن الطريق الذي سـلكوه معه منتهاه جنة الآخرة، ولو فقدوا في طريقهم إليه نعيم الدنيا كلَّه.

فهل نظن أن هؤلاء بعد ذلك يغيِّرون إيمانهم وقناعاتهم، فينقضون عهدَ النبي ﷺ وميثاقه من أجل عَرَض من الدنيا قليلٍ زائل؟

هؤلاء الذين كان يقينهم بصدق ما يقول الرسول ﷺ أعظم من يقينهم بما تراه أعينهم، وتدركه حواسهم، يقال لهم: إن محمداً زعم أنه ذهب لبيت المقدس ليلاً وعاد في ليلته، فيقولون بيقين: إن كان قال فقد صدق[1].

فهل يمكن بعـد ذلك أن يعقد عقـداً ويعهد عهداً ثم ينكثوه ويُخْفِرُوه، وهم الذين أعرضوا عن الدنيا كلها إيماناً به وتصديقاً بموعوده؟

(١) ينظر: «مصنـف عبد الـرزاق» (٩٧١٩)، و«سـيرة ابن هشـام» (٢/٢٤٥)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٤/٤٣٢) (١٠٥٩)، و«المستدرك» (٣/٦٥، ٨١)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٢/٣٦٠، ٣٦١)، و«البداية والنهاية» (٤/٢٨١).

ثم انظر إلى جهادهم بعــد وفاة النبي ﷺ، خصوصاً في مواجهة الرِّدَّة، وقمع دعــاوى النبوة، لقد كانوا يَرِدُون الموت عطاشــاً، ويرون أنهــم يســتتمُّون بجهادهم ذلك جِهادَهم مع رســول الله ﷺ؛ ففي حربهم مع مســيلمة الكذَّاب لبسوا أكفانهم، وطَلَوْا أجسادهم بحنوط الموت، وتقدَّمــوا إلى الشــهادة ليموتــوا ويبقى دين رســول الله ورســالته، حتى اسْــتَحَرَّ القتل في خيارهــم، وكان أكثر الشهداء هم حفظة القرآن؛ فهل نظن أن حملة القرآن الذين استشــهدوا في تلك الحروب كانوا يتدافعون إلى الموت وهم يعتقدون أنهم يقاتلون تحت راية خليفةٍ غَصَبَ الحقَّ ونَكَث العهدَ وأخلف الوصاةَ؟!

١٨ ـ تخيل حال السابقين للإسلام مع رسول الله ﷺ عندما أسلموا فتعرَّضوا لما تعرَّضوا له من أذى وبلاء في ذات الله، ثــم هاجروا عــن بلادهم وخســروا أموالهم، وذهبوا مع رسول الله ﷺ في هجرة إلى بلد غير بلدهم، ليس لهم فيها دار ولا مال، وكانت هجرة إلى المجهول، لولا اليقيــن بما عند الله ورســوله، والثقــة بموعود الله ورســوله، فهل يظن أحدٌ أنهم كانوا بذلــك كله يرقبون مطامع دنيوية؟

يا لله لقد تَخَلَّوْا عن الدنيا من أجل الله ورسـوله، فهل يعقـل أنهم فـي آخـر أعمارهم، وبعـد أن سـاروا مع المصطفى ﷺ هذا المسـير، ورأوه بأم أعينهم، والوحي يتنزَّل عليه، والمعجزات المبهرة تنطق بين يديه أن يتخلوا عن الله ورسوله من أجل طمع دنيوي؟

١٩ ـ وهنا في القصة طرف لا يمكن أن يُتَّهم بممالأة أو إخلاف، وهن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن اللاتي خيَّرهن اللهُ فـي كتابـه، فقـال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ فمـا تحيَّرن، ولا تردَّدن، ولكن اخترن اللهَ ورسـولَه، والدار الآخرة، وإن زُوِيَ عنهن من متاع الدنيا ما زُوِيَ، وعَبَرْنها بالمتاع القليل اليسير.

فلا عجب بعد ذلك أن زكَّاهن الله لنبيه ﷺ، ورضيهنَّ له، وقَصَرَهُ عليهن دون غيرهن، فقال: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾.

وما تبدَّل النبيُّ ﷺ بهن غيرهن، ولا فارق أيّاً منهن.

وجعلهن الله أمهاتٍ للمؤمنين إلى قيام الساعة، فقال: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾، وحرَّم نكاحهن بعد رسول الله ﷺ، فقال: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًا﴾، فعُلم أنهن زوجاتُه ﷺ في الدنيا والآخرة، رضي الله عنهنَّ وأرضاهن.

ثم إن زوجاته عليهن السلام من قبائل شتَّى، فمنهن القرشيات، ومنهن المُصْطَلَقية: جُويرية بنت الحارث، والنضيرية الإسرائيلية: صفية بنت حُيَيٍّ بن أَخْطَبٍ، والهلالية: ميمونة بنت الحارث.

ثم إن القرشيات منهن كن من بطون شتَّى من قريش، فمنهن: التيمية، والعدوية، والمخزومية، والعامرية، والأَسَدية، والأُموية.

وكانت أمهات المؤمنين كلُّهن مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع، وسمعن ما سمع الناس في غَدِير خُمٍّ.

وهن بما زكَّاهن الله به لا يمكن أن يكتمن شهادة، ولا أن يُقْرِرْن نَكْث عَهْدٍ، وإخلاف ميثاق.

وكيف تتخلَّى أمهات المؤمنين عن الدنيا وزينتها، ويخترن اللهَ ورسولَه، ثم يَرَيْنَ عهدَه يُنقض، وميثاقَه

يُنكث، فلا ينكرن، ولا يغيِّرن، ولا يكون لهن رأي ومقام، لو كان ثَمَّ عهد وميثاق؟!

وهن على تنوع قبائلهن وعشائرهن لا يمكن أن يُتهمن بتواطؤ مع بطن أو عشيرة ضد عليٍّ عليه السلام، ولا أن يؤثرن أحداً على مَن آثره رسول الله صلى الله عليه وآله، وعهد إليه.

٢٠ ـ عندما نقدِّم تاريخ دعوة النبي صلى الله عليه وآله وإنجازه، نقدِّمه على أنه أعظم وأضخم إنجاز في تاريخ البشرية، وأنه صلى الله عليه وآله في مدة وجيزة نقل الناس من الظلمات إلى النور، وأدخلهم في دين الله أفواجاً، وربَّى حوله جيلاً مثاليّاً لم يتكرر في الأجيال، وأنَّ مَن دخلوا في الدِّين وتابعوه وناصروه كانوا مؤمنين به حقّاً وصدقاً، وأنه كان أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم، ولذا انطفأت حركات الرِّدَّة في بعض نواحي الجزيرة، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله مباشرة؛ لأنها كانت تمرداً محدوداً قصير المدى، ثم انطلق أصحابُه رسلاً لرسالته، يبلغون للبشرية الدين الذي بلغه، ويوصلون للدنيا الرسالة التي أُرسِل بها.

ويترسَّخ هذا اليقين في قلوبنا اليوم كلما سمعنا: أشهد أن محمداً رسول الله تُعلن في أصقاع الدنيا، في كلِّ أرضٍ،

ومن كلِّ عِرْق، ونقول: ما أعظم كرامة هذا النبي على ربه: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾.

ولكن هذا السياق لقصة الغَدِير، وأنها وصاة واستخلاف، وبتلك النتيجة التي انتهت إليها، نكثاً وإخلافاً، ونقضاً وغدراً، تُظهر أن مهمة الرسول صلى الله عليه وآله إلى البشرية كانت مهمة فاشلة، لم تثمر، ولم تحقِّق نتائجها؛ فإذا كان الذين آمنوا بهذا الرسول في أول دعوته، وكانوا سبباً في إسلام غيرهم، وعاشوا معه طوال فترة النبوة، هاجروا معه، وجاهدوا معه، ثم ختموا صحبته بالحجِّ معه، يعاهدهم هذا العهد، ويواثقهم هذا الميثاق، فيغدرون بعهده، وينقضون ميثاقه، ويتكشَّف إيمانهم عن نفاق مستور، فمعنى ذلك أن إنجازه هو تربية مجموعة من المنافقين خادعوه، فلما مات تكشَّفت مطامعهم، وأن كل ما اطَّلعوا عليه من حال النبي صلى الله عليه وآله، وما رأوه من معجزاته لم يقنعهم بصدق رسالته، ولا الوفاء بعهده، ولا الالتزام بدينه.

إن هذا السياق يقدِّم صورةً مشوهةً بائسةً لإنجاز النبي صلى الله عليه وآله خلال فترة الصبر والدعوة والتربية التي قضاها مع أمته.

وإذا كان ذلك كذلك، فكيف سيجرؤ أحدٌ أن يدعو إلى دين محمد ﷺ في أي عصرٍ من العصور بعده، ماذا سيقول لنا الناس إذا دعوناهم للإسلام وفق هذه الصورة، وهذه الرواية، وقدَّمنا لهم رسالة لم يستطع رسولها أن يقنع بها أقرب الناس إليه، وأن كل من تظاهروا بالإيمان بها اتضح أنهم كانوا غير صادقين، وأنهم كانوا يخادعون هذا النبي، ويتربَّصون به؛ ولذا نقضوا عهده يوم وفاته، ولو كانوا يعتقدون صدق نبوته وصحة رسالته لكانوا أوفياء له حيّاً وميتاً.

ولينظر ما كتبه الشيخ الشريف أبو الحسن علي الحسني الندوي: في كتابه «صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ الدعوية والتربوية وسيرة الجيل المثالي الأول عند أهل السنة والشيعة الإمامية».

٢١ ـ هل يتصوَّر أن كل هذه الحشود المجتمعة مع النبي ﷺ، وهم من قبائل شتَّى ونواحٍ شتَّى يتفقون على كتمان هذا العهد ونكثه وعدم الوفاء به؟

إن كل سر جاوز الاثنين شاع، فكيف بمناشدة نبوية في خطبة عامة دُعي لها بنداء الفزع: «**الصَّلَاةَ جَامِعَةً**»، وشدَّد فيها النبيُّ ﷺ العهد والعقد، ثم يتفرق هؤلاء في

نواحيهم وعشائرهم، فلا يَفشــو الخبرُ ويشتهر، ولا يظهر النَّكير ممن حضر وسمع وقد رأى خلافه؟

كيف لم نسمع أن أحداً قام يعترض على ما جرى من اســتخلاف أبي بكر رضي الله عنه، ولا أن القبائل حــول المدينة جاءت تعترض أو تستوضح أو تستغرب؟

كل ذلك يبيِّن أنه لم يكن هناك مـا يـدعو للاعتراض ولا الاستغراب!

٢٢ ـ خالف بعــضُ الصحابة رضي الله عنهم أبــا بكر رضي الله عنه في حروب الرِّدَّة، ثم وافقــوه[(١)]، وخالف بعضُهم عمرَ رضي الله عنه في قسمة أراضي السَّواد[(٢)]، وخالف عليٌّ عثمان رضي الله عنهما في التمتع بالحج[(٣)].

فإذا كانــوا أعلنوا رأيهم وخلافهم في هذه المســائل، أفلا يمكــن أن يخالفوا في أصل الأمر، وعندهم مســتند للخلاف، وهو وصاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعقده لعليٍّ عليه السلام؟

---

(١) ينظر: «صحيح البخاري» (١٣٩٩، ١٤٠٠، ٦٩٢٤، ٦٩٢٥)، و«صحيح مسلم» (٢٠).

(٢) ينظر: «الخراج» لأبي يوسف (ص٣٦ ـ ٣٧، ٤٥ ـ ٤٦)، و«الأموال» للقاسم ابن ســلَّام (١٤٧)، و«الأموال» لابن زنجويه (٢٢٤)، و«ســنن البيهقي» (٥١٧/٦)، (٢٣٣/٩)، و«تاريخ دمشق» (١٩٦/٢ ـ ١٩٧)، و«الروض الأنف» (١٣٢/٧).

(٣) ينظر: «صحيح البخاري» (١٥٦٣)، و«صحيح مسلم» (١٢٢٣).

بلى والله لو كان ثمة عقد ووصـــاة وميثاق لكانوا هم الأقوياء في إعلان رأيهم وقول كلمة الحق إذا اعتقدوها.

٢٣ ـ كان الصحابة جموعاً من قبائل متنوعة، وعشائر وأحلاف متعدِّدة، لم يكن يجمعهم ويقرِّب بعضهم لبعض إلا الدِّينُ وحبُّ النبي ﷺ، فلو فُرض أن فريقاً منهم مالأ أو كتم، فأين البقيـــة منهم التي لا يمكـــن أن تنصاع إلا للحق؟ ولئن غدرت قبيلة فأين بقية القبائل؟ ولئن مالأت بلدة فأين بقية البلاد؟

٢٤ ـ أهل الصُّفَّة كانوا مهاجرين إلى الله ورسوله، تركوا ديارهم وعشائرهم، وتحملوا في سبيل هذه الهجرة شَظَف العيش، وعُري الأجســاد، وجوع البطون، لا لشــيء إلا ليتبعوا رسول الله ﷺ، وليسمعوا منه دعوته وهداه، فمَن الذي يستطيع أن يغريهم بعد ذلك أن يكتموا عهداً وعقداً عقده رسول الله ﷺ وأَشْهَدَ عليه؟

٢٥ ـ هذا عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي اتَّبع النبيَّ ﷺ هو وأبوه وأمه في طلائع البعثـــة النبوية، ووقفوا بصبر وثبات ـ وهم الأرقَّاء المستضعفون ـ أمام كل الجبابرة المتكبِّرين من مـــلإ قريش، يُعَذَّبون فـــي رَمْضاء مكة، ويُفتنـــون عـــن دينهم، فـــإذا جبـــال مكـــة تتضعضع

ولا يتضعضعون، فيموت ياسر رضي الله عنه تحت العذاب، وتستشهد سُمَيَّة رضي الله عنها لتكون أول شهيدٍ في الإسلام، ولا يعدهم النبيُّ صلى الله عليه وآله بشيء من متع الدنيا، إلا بذاك النعيم الذي امتلأت قلوبهم يقيناً به: «صَبْراً آلَ يَاسِرٍ؛ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ»[1].

ثم يعيش عمار بن ياسر رضي الله عنهما بعد ذلك، ويهاجر مع النبي صلى الله عليه وآله، فيبشِّره النبيُّ صلى الله عليه وآله بأنه الثابت على الحقِّ في وجه الفتن، وأنه شهيد البغي: «وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ»[2].

وعندما بُويع عليٌّ عليه السلام بالخلافة كان معه، وعندما قاتل قاتل معه على كبر سنه، فقد كان قريب الرابعة والتسعين من العمر، وكانت الحربةُ ترْعُدُ في يده إذا أمسكها من الكِبَر، وكان يقول وهو يقاتل مع عليٍّ عليه السلام: والذي نفسي بيده، لقد قاتلتُ بهذه الراية مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرات، وهذه الرابعة، والذي نفسي

(١) ينظر: «مسند أحمد» (٤٣٩)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٣٠٣/٢٤) (٧٦٩)، و«المستدرك» (٣٨٣/٣، ٣٨٨)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٢٨٢/٢)، و«تاريخ دمشق» (٣٦٨/٤٣)، و«البداية والنهاية» (١٤٧/٤).

(٢) «مسند أحمد» (٦٥٣٨)، و«صحيح البخاري» (٤٤٧، ٢٨١٢)، و«صحيح مسلم» (٢٩١٦).

بيده، لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفَات هَجَر[1]، لعرفتُ أن مصلحينا على الحقّ، وأنهم على الضلالة[2].

فهل نتصور أن هذا الذي عنده هـذا اليقين، وهذا الحب لأمير المؤمنيـن عليٍّ عليه السلام يمكـن أن يبايع أو يتابع أحداً دون عليٍّ عليه السلام، وقد سـمع عهدَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليه، وواثقه على ذلك العهد، لو كان رأى وشهد وسمع ذلك العهد والمعاقدة؟!

هـل كان عمارٌ رضي الله عنه أقـل من أن يقـول لأبي بكر ولعمر ولعثمان رضي الله عنهم: إنكم تولّيتم ولاية ليسـت لكم، ونقضتم عهدنا وميثاقنا مع رسول الله، لو كان ثمة عهد وميثاق؟

ما الذي يخافه عمارٌ رضي الله عنه، وهو الذي عُذِّب ووالداه في سبيل الله حتى مات والداه تحت العذاب؟!

(١) سَعَفات جمع: سَعَفَة، وهي: أغصان النخيل، والمقصود: نخيل هَجَر بالأَحْسـاء، وهي مسـافة بعيدة جدّاً عن جنوب العـراق حيث كان عمار رضي الله عنه يقول هذا الكلام، فذكرها مبالغة في مسـافة البُعد. ينظر: «النهاية» (٢/٣٦٨).

(٢) ينظر: «طبقات ابن سعد» (٣/٢٤٠)، و«مسند الطيالسي» (٦٧٨)، و«مسند أحمد» (١٨٨٨٤)، و«صحيح ابن حبان» (٧٠٨٠)، و«المستدرك» (٣/٣٨٤، ٣٨٦، ٣٩٢)، و«تاريخ دمشق» (٤٣/٣٦٢).

ما الذي يخافه عمارٌ ﵁ وهو الذي تقحّم الموت على كبر سنه وضعف قوته؛ وفاءً لعلي ﵇ إذ بايعه؟ أوَ لا يقتحم ما هو أشد وفاء لبيعة رسول الله ﷺ وعقده وعهده، لو كان ثمة بيعة وعهد وعقد لعلي ﵇؟

٢٦ ـ خطب النبيُّ ﷺ في حجة الوداع في عرفة، وخطب يوم النحر بمنىً، وخطب اليوم الحادي عشر في منىً على بغلته، وعليٌّ ﵇ ممسك بها، وبَيَّن في خُطبه هذه معاقد الدين، وعصم الملة، وجوامع الشرع[١]، ثم خطب خطبة «**غَدِير خُمٍّ**» بعد ذلك عندما قَرُب من المدينة وهو عائد إليها، ولحقت القبائل بديارها، وتفرَّق الناسُ عنه، فإن كل مَن اجتمعوا إليه في الحج قد نفروا إلى ديارهم كلٌّ في وجهته، كما قال ابن عباس ﵄: كان الناس ينفرون من منى إلى وجوههم[٢]. فبقي أهلُ مكة في مكة، وذهب أهلُ الطائف إلى الطائف، وأهلُ اليمن إلى اليمن، وأهلُ نجد إلى نجد، ولم يسر مع النبي ﷺ من مكة إلا أهلُ المدينة ومَن كانت منازلهم في طريقه.

---

(١) ينظر: «كأنك معه: صفة حجة النبي ﷺ».

(٢) تقدم.

فلو كانت الوصاة بخلافة عليٍّ عليه السلام بهذه المكانة في الدِّين، لقالها النبيُّ صلى الله عليه وآله في المشاهد العظيمة قبل ذلك، ولأكَّدها في خطبه الثلاث؛ خاصة أنه ودَّع فيها الناس، وقال: «**لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا**»(١).

أو لأكَّدها وأعادها حينما عاد إلى المدينة؛ خاصة في مرض موته، وكان صلى الله عليه وآله يعلم أنه مقبوضٌ في وجعه ذلك، كما أخبر به فاطمةَ عليها السلام(٢).

وقد خرج إلى الناس في أول مرضه وعليه عصابة دَسْماء(٣)، فجلس على المنبر، وهيَّأ الصحابة لفراقه، وأوصى مَن ولي من أمته بالأنصار خيراً، وأمر أن تُسَدَّ كلُّ خَوْخَةَ في المسجد إلا خَوْخَة أبي بكر، وكلُّ باب في المسجد إلا بابَ عليٍّ(٤).

---

(١) تقدم.

(٢) ينظر: «مسند الطيالسي» (١٤٧٠)، و«مسند أحمد» (٢٤٤٨٣، ٢٦٤١٣)، و«صحيح البخاري» (٣٦٢٣ ـ ٣٦٢٦)، و«صحيح مسلم» (٢٤٥٠).

(٣) دسماء: سوداء. ينظر: «النهاية» (١١٧/٢).

(٤) ينظر: «مسند أحمد» (١٥١١، ٢٤٣٢، ٣٠٦١)، و«صحيح البخاري» (٤٦٧، ٣٦٢٨، ٣٨٠٠)، و«جامع الترمذي» (٣٧٣٢)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٤٠٤٨، ٨٣٥٥)، و«المستدرك» (١٢٥/٣)، و«تاريخ دمشق» (٩٩/٤٢ ـ ١٠٢)، و«فتح الباري» (١٤/٧ ـ ١٥)، و«السلسلة الضعيفة» (٢٩٢٩، ٤٩٥٣).

وقد ضعَّف بعض العلماء ذكر استثناء «باب عليٍّ»، منهم: ابن الجوزي، =

فيا لله أما كان أمر الخلافة من بعده أهم من خَوْخَة أبي بكر وباب عليٍّ، لو كان قد عهد بالخلافة أو أراد أن يعهد.

إن هذا المقام كان أولى المقامات بها لو كان.

ولماذا لم يذكرها النبيُّ ﷺ عندما خرج في آخر صلاة صلَّاها بالناس، وقد وجد في نفسه خفة من وجعه، فخرج بين عليٍّ والعباس رضي الله عنهما، ورجلاه تخطَّان في الأرض، حتى أجلساه إلى جانب أبي بكر، فصلَّى بالناس جالساً، ثم ردَّه عليٌّ والعباسُ رضي الله عنهما إلى بيته كما أتوا به؟[(١)]

أليس هذا وقت العهد والوصاة تأسيساً أو تأكيداً، لو كان هناك عهد ووصاة، لا سيما وعليٌّ عليه السلام معه في حال قرب شديد، فهو الذي يعضده في مشيه ويسير به؟

إن هذا يدل على أن وصاته بأهل بيته مقصود بها مَن يجالسونهم ويخالطونهم، وهم المهاجرون والأنصار

= وابن كثير، وغيرهما. ولكن رجَّح الحافظ ابن حجر ذكر الخَوْخَة والباب جميعًا، وبسط ذلك في «القول المسدَّد» (ص١٦ ـ ١٩)، و«النكت على كتاب ابن الصلاح» (٤٦٢/١ ـ ٤٧٠).

(١) ينظر: «صحيح البخاري» (١٩٨، ٧١٢، ٧١٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٨٧)، و«صحيح مسلم» (٤١٨).

والقبائل التي حول المدينة ممن بقوا معه أن يحبوهم ويكرموهم ويعرفوا لهم قدرهم، ويرقبوا رسولَ الله ﷺ فيهم، وليست وصاة بالخلافة ولا عهداً بها.

٢٧ ـ هل يمكن أن يعهد النبيُّ ﷺ بالخلافة من بعده لعليٍّ عليه السلام، ثم يعهد لمَّا مرض بالإمامة الصغرى لأبي بكر رضي الله عنه ليصلِّي بالناس أيام مرضه؟[١]

إن الأحق بالإمامة في مسجد رسول الله ﷺ والوقوف في مقامه الذي يؤم فيه الناس هو مَن عُهد إليه بالأمر من بعده، إن كان ثَمَّ عَهْدٌ وعَقْدٌ، فإذا قُدِّم غيره للصلاة، علم أن لا عهد ولا عقد لأحد، فلا يمكن أن يعهد إليه بالإمامة الكبرى ولا يعهد إليه بالإمامة الصغرى.

ولذا قال عليٌّ عليه السلام: إن نبيَّكم ﷺ نبيُّ الرحمة، لم يُقتل قتلاً، ولم يمت فجأة، مكث في مرضه أياماً وليالي يأتيه المؤذِّنُ فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر رضي الله عنه فيصلِّي بالناس، وهو يرى مكاني، فلما قُبض رسولُ الله ﷺ نظرنا في أمورنا، فاخترنا لدنيانا مَن رضيه النبيُّ ﷺ لديننا[٢].

---

(١) ينظر: «صحيح البخاري» (٦٦٤، ٦٧٩، ٧١٣)، و«صحيح مسلم» (٤١٨).

(٢) ينظر: «الشريعة» للآجري (١٧١٢/٤، ١٧٢٣)، (٢٣٣٧/٤)، و«فضائل الخلفاء الراشدين» (١٨٩)، و«التمهيد» (١٢٩/٢٢)، و«تاريخ دمشق» (٤٤٢/٤٢)، و«تاريخ الإسلام» (٦٤٠/٣)، و«تاريخ الخلفاء» (ص ١٣٧).

٢٨ ـ لما اجتمع الأنصار في السَّقِيفة كان اجتماعهم لاختيار خليفة منهم؛ لأنهم ـ كما يرون ـ أهل الدار، فالمدينة دارهم، وهم حكامها قبل هجرة النبي ﷺ إليها، فإذا تُوفِّي النبيُّ ﷺ فلترجع الإمرة لهم.

فهل كانوا سيتفاوضون في هذا الأمر، ويتوجهون هذا التوجه لو كان عندهم عهد من رسول الله ﷺ بالولاية لعليٍّ عليه السلام من بعده؟

وعندما جاءهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما طرح بعضهم حلّاً وسطاً في نظرهم، وقالوا: منا أميرٌ، ومنكم أميرٌ[١].

فهل يمكن أن يُطرح هذا الاقتراح لو كان هناك وصاة نبوية شهدوها والتزموها بين يدي رسول الله ﷺ؟

إن الذي نعتقده ـ ولا نظن بالأنصار غيره ـ أنه لو كان هناك عهدٌ لعليٍّ عليه السلام لما اجتمع الأنصار في سَقِيفة بني ساعدة، ولرأيتهم مجتمعين عند عليٍّ عليه السلام في المسجد يقولون له: نبايعك على ما عاهدنا عليه رسول الله يوم

(١) ينظر: «مصنف عبد الرزاق» (٩٧٥٨)، و«سيرة ابن هشام» (٢/٦٦٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٠٤٣)، و«مسند أحمد» (١٣٣، ٣٩١)، و«صحيح البخاري» (٣٦٦٧ ـ ٣٦٧٠)، و«تاريخ الطبري» (٣/٢١٨).

عاهدناه. فهم أهـل الوفاء والصدق، فإذ لـم يفعلوا ذلك علمنا أنه لم يكن ثمَّ عهد ولا وصاة.

٢٩ ـ في قبول عليٍّ عليه السلام أن يكون ضمن الستة أهل الشُّورى الذين رشَّحهم عمر رضي الله عنه ليختار المسلمون أحدَهم للخلافة بعد موته، وبقاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ثلاثة أيام يستشير الناسَ ويخايرهم بين عليٍّ وعثمان رضي الله عنهما [(١)]؛ دلالةٌ على أنه لم يكن ثمَّ عهدٌ ولا وصاة، فلو كان عند علي عليه السلام عهد لأظهره وأشهره وذكَّر الناسَ به.

ولو كان الرسول صلى الله عليه وآله أوصى لعلي عليه السلام، لقال الناسُ لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: كيف تستشيرنا فيمَن أوصى إليه النبيُّ واستشهد له وعاقد؟

٣٠ ـ ذهبت طائفة من أهل السنة إلى أن النبي صلى الله عليه وآله قد نص نصاً غير جلي على خلافة أبي بكر الصديق بأدلة من أظهرها أنه عهد إليه بالصلاة بالناس في مرض موته، وذهبت طائفة من الشيعة إلى أن النبي صلى الله عليه وآله نص على خلافة علي من بعده نصاً غير جلي في حديث الغدير.

---

(١) ينظر: «صحيح البخاري» (١٣٩٢، ٣٧٠٠).

والصواب أن النبي ﷺ لم ينص لأبي بكر ولا لعلي نصاً جلياً ولا خفياً، وإنما ترك الأمر لشـــورى المسلمين واجتهادهم، وحمّلهم مسؤولية قرارهم واختيارهم.

والدليل أن أبا بكر عرض على الأنصار في الســـقيفة بيعة عمر أو أبي عبيدة، فلو كان ثَـــمّ نص جلي أو خفي لفهمه أبو بكـــر واحتج به في هذا المقام، وما وســـعه أن يخالف إشارة النبي ﷺ فيشير بغير من أشار إليه تصريحاً أو تلميحاً.

وكذلك علي عليه السلام لم يفهم من حديث الغدير إشـــارة جلية ولا خفيـــة بالخلافة، ولذا لم يحتـــج به عندما بويع أبو بكر، وعندمـــا بويع عمـــر، ولا احتج بـــه على أهل الشـــورى يوم بويع عثمان، ولا احتج به على أصحابه في حادثة التحكيم.

وقد كان علي وأبو بكر أعلم الناس بمرادات النبي ﷺ وإشاراته وجلي نصه وخفيه.

فليت شعري أي نص هنا جلي أو خفي لم يفهمه من قُصِد به ولم يفهمه كل من اســـتمعوا إليه وشـــهدوه، ثم يدعي فهمه من جاء بعدهم بدهور ولم يشـــهد ما شهدوا ولم يعرف ما عرفوا؟!

٣١ ـ عندما أوصى أبو بكر لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما بالخلافة كان ذلك في مرض موته في كتاب أملاه وهو في غمرات الموت، يعهد فيه بالأمر من بعده لعمر بن الخطاب، بعد أن استشار فيه كبار الصحابة، فلما تُوفِّي قُرئ الكتاب على الناس، فوافقوا كلُّهم، والتزموا كلُّهم، ولم يختلف على عمر اثنان[١].

فهل يعقل أن يفي الناسُ لأبي بكر رضي الله عنه بعهد لم يُقرأ عليهم إلا بعد موته، ولا يفون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعهد عاهدهم وعاقدهم عليه في حياته واستوثقهم واستشهدهم؟

إن كل شرفٍ ناله أبو بكر رضي الله عنه فسببه إيمانه بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وصحبته وصدق الولاء له، فهل يكون الوفاء لصاحب الرسول أعظم من الوفاء للرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟!

٣٢ ـ لو كان العهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ عليه السلام ثم أخلفته ونافسته بطون أخرى من قريش، فإن في المدينة

(١) ينظر: «طبقات ابن سعد» (١٨٣/٣)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٢٠٤٠، ٣٧٠٥٧)، و«مسند أحمد» (٢٥٩)، و«تاريخ المدينة» لعمر بن شبَّة (٦٦٥/٢ ـ ٦٦٧)، و«تاريخ الطبري» (٤٢٨/٣)، و«تاريخ دمشق» (٤١٠/٣٠)، (٢٥٧/٤٤)، و«تاريخ الإسلام» (١١٦/٣).

طرفاً محايـــداً بين بطــون قريش؛ لأنه ليــس منهم وهم الأنصار، فالأنصــار بايعوا رســولَ الله ﷺ على نصرته وحمايته، ووقفوا معــه والعرب كلهــا ترميهم عن قوس واحدة، وصُرعوا بين يديه في المعارك نصرة له، وزكّاهم الله في كتابــه فقــال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾، فهل يمكــن أن يخلفوا عهده ووصاته من بعده، ويبايعوا مَن لم يعهد إليه؟

إنهم قد وفوا لــه بالعهد الأول يــوم هاجر إليهم أن يمنعوه مما يمنعون منــه أُزرهم[1]، فكانــوا أهل صدق ووفاء، حتى أظهر اللهُ بهم دينه، فهــل يتصوَّر أن يتخلَّوْا عن عهده وميثاقه ويميلــوا عن وصاته إلى رجل غير مَن عهد إليه، وهم في المدينة في دارهــم، وهم الكثرة من أهلها، فليســوا قلــة ولا ضعفة حتى يُغلبــوا على ما لم يريدوه ويقتنعوا به؟

(١) ينظر: «سيرة ابن هشــام» (٤٤٢/١)، و«مســند أحمد» (١٤٤٥٧، ١٤٦٥٣)، و«أخبار مكة» للفاكهي (٢١٥/٤)، و«تاريــخ الطبري» (٣٦٢/٢)، و«دلائل النبوة» للبيهقــي (٤٤٧/٢)، و«الكامل في التاريــخ» (٦٩٢/١)، و«البداية والنهاية» (٤٠١/٤).

ثم إن علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ أولى بالأنصار، وهم إليه أقرب من غيره، فهم أخواله أخوالُ جدِّه عبد المطَّلب، ولقد ذهب آباؤهم في الجاهلية من المدينة إلى مكة لنصرة عبد المطَّلب لما غالبه عمه نوفل على ساحاته وأفنيته، وأخذها منه، فاستعان بأخواله الخزرج، فجاؤوا من المدينة حتى نزلوا الأَبْطح، واسترجعوا له حقَّه.

وفي ذلك يقول الشاعر شمر بن عويمر الكناني[(١)]:

لعَمْرِي لأَخْوال الأغرِّ ابنِ هاشمٍ
من اعمامه الأدنين أحنى وأوصلُ
أجابوا على نأيٍ دعاءَ ابن أختهم
وقد ناله بالظلم والغدر نوفلُ
فما برحوا حتى تداركَ حقَّه
ورُد عليه بعد ما كاد يُؤْكلُ
جزى الله خيراً عُصبة خَزْرجية
توافوا على برٍّ وذو البر أفضلُ

(١) ينظر: «أنساب الأشراف» (١/٧٠)، و«المنمق في أخبار قريش» (ص٨٦ ـ ٨٧)، و«تاريخ الطبري» (٢/٢٤٩)، مع اختلاف في اسم الشاعر، ورواية الأبيات.

فهم الآن بعد الإسلام أحْرَى أن ينصروا ابنه عليّاً، وهو ابن أختهم، و«**ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ**»[1]، وما كانوا ليُسلِموا حقَّ عليٍّ لأبي بكر ولا لغيره، لو اعتقدوا أن له حقّاً يُؤخذ له ويُنصر عليه.

٣٣ ـ بايع الناسُ أبا بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، واشتهر أمر سعد بن عُبادة رضي الله عنه، وأنه لم يبايع، وقد ورد أن أبا بكر رضي الله عنه أرسل إليه أنْ أقبل فبايع؛ فقد بايع الناسُ، وبايع قومُك. فقال: لا والله لا أبايع. فقال بَشِير بن سعد الأنصاري رضي الله عنه: يا خليفةَ رسول الله، إنه قد أَبَى ولَجَّ، فلا تحرِّكوه وقد استقام لكم الأمر، وإنما هو رجلٌ وحده ما تُرِك. فقبل أبو بكر نصيحته وتركه، وبقي في المدينة سيِّداً شريفاً كريماً عزيزاً في قومه.

ولمَّا تُوفِّي أبو بكر رضي الله عنه ووِلِيَ عمرُ رضي الله عنه لم يبايعه سعدٌ رضي الله عنه، ولما لقي عمرُ سعداً قال له سعدٌ رضي الله عنه: قد أفضى إليك هذا الأمرُ، وكان واللهِ صاحبُك أحبَّ إلينا منك[2].

(١) «مسند أحمد» (١٢١٨٧، ١٣٥٧٤، ١٩٥٤١)، و«صحيح البخاري» (٣٥٢٨، ٦٧٦٢)، و«صحيح مسلم» (١٠٥٩).

(٢) ينظر: «طبقات ابن سعد» (٥٦٩/٣)، (٣٩٤/٩)، و«تاريخ دمشق» (٢٦٥/٢٠)، و«أسد الغابة» (٣٢٩/٣)، و«تاريخ الإسلام» (١٤٨/٣).

ومع ذلك بقي سعدٌ رضي الله عنه هو سيِّد الخزرج وكريمهم، لم يعرض أحدٌ لمكانته وسيادته وشأنه في قومه، مع أنه لم يبايع الخليفتين في وقته.

وهنا ننظر لموقف سعد رضي الله عنه من ناحيتين:

أولاهما: أن سعداً رضي الله عنه لم يبايع، ولكنه لم يعارض بأن البيعة إنما هي لعليٍّ عليه السلام، ولو كان ذلك لأعلنه ولتابعه الأنصارُ كلهم، ولكنه لم يبايع؛ لما كان يرى لنفسه ولقومه من المكانة، وأحقيتهم بأن يكون لهم شراكة في الأمر، وكان سعدٌ رضي الله عنه سيِّداً عزيز النفس، فلم يطب نفساً بأن يبايع.

الثانية: إذا كان سعدٌ رضي الله عنه قد استعلن بعدم البيعة، فهل نظن بعلي عليه السلام أن يكون معه عهدُ النبي صلى الله عليه وآله وميثاقُه ثم يعجز عن مثل ما فعله سعدٌ رضي الله عنه ؟

وإذا كان أبو بكر وعمر لم يعرضا لسعد رضي الله عنهم حين لم يبايع، فهل كانا يعرضان لعلي عليه السلام لو لم يبايع؟ وقد كان أبو الحسن أعلى قدراً ومكانة، وأعظم جرأة وشجاعة من سعد لو رأى رأيه، فكيف لو كان عنده عهدٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله وعقد وميثاق؟!

٣٤ ـ لم يكن الصِّدِّيــق رضي الله عنه من بطن من بطون قريش ذي قوة وشوكة ونفوذ، وإنما كان من بني تَيْم الذين ليس لهم مــن ســيادة قريــش شــيء، فليــس لهــم الرِّفادة، ولا السِّقاية، ولا الحِجابة، ولا الراية، ولا الندوة، ولا قبة السلاح، ولا أعنَّة الخيل ونحوها من مآثر قريش[1].

فلو كان الصِّدِّيق الذي اســتُخلف من بطنٍ من بطون قريش التي كانت تنافس على الرئاســة والشــرف، كبني مخزوم وبنــي عبد الدار، لقلنــا: نَفِس على بني هاشــم واستقوى برهطه وعشيرته، كما نَفِس أبو جهل عمرو ابن هشــام المخزومي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم النبوة وحسده عليها؛ لأنه من بني عبد مناف، ولا تريد بنو مخزوم أن تسلِّم لهم الشــرف، أما أبو بكر فليس له قوة عشــائرية يتقوَّى بها، وإنما كانت قوته شورى المسلمين واختيارهم وبيعتهم عن رضا واختيار وطيب نفس.

وكذلك عمر رضي الله عنه لم يكن من بطــن من بطون قريش الكبيرة العديدة، ولذا عندما أراد النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يرسله إلى

(١) ينظر: «سيرة ابن هشــام» (١/١٢٩ ـ ١٣٢)، و«المنمق في أخبار قريش» (ص١٨٩ ـ ١٩٠)، و«أخبار مكــة» للأزرقــي (١/١١٠)، و«أخبار مكة» للفاكهي (٥/١٥٨).

قريش أيام الحديبية، استعفى وقال: يا رسولَ الله، إن مكة ليس بها من بني عدي أحدٌ يمنعني[1].

فلم يكن الخليفتان رضي الله عنهما من البطون المنافسة لبني هاشم، فيقال: اغتصبا الحق نَفَاسةً، ولا من البطون العديدة القوية، فيقال: اغتصبا الحق مغالبةً، وإنما كانت شورى المسلمين واختيارهم ورضاهم هي التي ساقت إليهم عقد المسلمين وبيعتهم.

٣٥ ـ عندما حُوصر عثمان رضي الله عنه ناشد الناسَ بسابقته في الإسلام، وما قاله رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم له، فقال: أذكِّرُكم بالله، هل تعلمونَ أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في جيش العُسْرة: «**مَنْ يُنْفِقُ نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً**» والناسُ مجهدون معسرون، فجهَّزتُ ذلك الجيش؟ قالوا: نعم. ثم قال: أذكِّرُكم بالله، هل تعلمون أن بئر رُومة لم يكن يشربُ منها أحدٌ إلا بثمن، فابتعتُها، فجعلتُها للغني والفقير وابن السبيل؟ قالوا: اللهمَّ نعم. وأشياء عدَّدها[2].

---

(١) ينظر: «طبقات ابن سعد» (١٨٩/٥)، و«سيرة ابن هشام» (٣١٥/٢)، و«مسند أحمد» (١٨٩١٠)، و«تفسير الطبري» (٢٧٢/٢١ ـ ٢٧٣)، و«تاريخ دمشق» (٧٨/٣٩)، و«البداية والنهاية» (٢١٤/٦).

(٢) ينظر: «مسند أحمد» (٥١١)، و«صحيح البخاري» ـ معلقًا ـ (١٠٩/٣)، (١٣/٥)، و«تاريخ المدينة» لعمر بن شبَّة (١٥٢/١)، و«جامع الترمذي» =

فكيف يناشد عثمان ﵁ على شرائه بئر رُومة، ولا يناشد عليٌّ ﵇ الناسَ على عهد رسول الله ﷺ إليه بالخلافة من بعده بمشهد الناس كلهم؟

٣٦ ـ عندما تُوفِّي النبيُّ ﷺ ارتد المرتدُّون، وقاتلوا أبا بكر ﵁[١]، وكان من أسباب قتالهم الاعتراض على الزكاة، أو على ولاية أبي بكر ﵁، وإراداتهم أن تكون الولاية فيهم، كما قال قائلهم[٢]:

أطعنا رسولَ الله ما كان بيننا
فيا لعباد الله ما لأبي بكر؟!
أيورثها بَكراً إذا مات بعده
فتلك لعمر الله قاصمةُ الظهر[٣]

ولكن لم يرفع أحدٌ في وجه أبي بكر ﵁ راية تقول: لدينا عهدٌ من رسول الله ﷺ بولاية عليٍّ ﵇، سوف نقاتلك عليها. فلو كان هناك عهدٌ لعليٍّ ﵇، لكان هذا

= (٣٦٩٩)، و«سنن النسائي» (٢٣٦/٦)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٤٨٧، ٢٤٩١)، و«صحيح ابن حبان» (٦٩١٦، ٦٩٢٠)، و«المستدرك» (٤١٩/١).

(١) تقدم.

(٢) ينظر: «الأم» (٢٢٨/٤)، و«تاريخ المدينة» (٥٤٧/٢)، و«تاريخ الطبري» (٢٤٦/٣).

(٣) الأبيات من قصيدة للحطيئة، ينظر: «الكامل» للمبرد (٣٠٨/١).

أقوى حجة يحتجون بها على قتال أبي بكر، ومسوّغاً للتمرد على بيعته.

٣٧ ـ قاتل بنو حَنِيفة مع مُسَيْلمة عصبية له، مع علمهم أنه كذَّاب، وقاتل بنو أسد مع طُليحة الأسدي، وقاتل بنو تَمِيم مع سَجَاح، وكلهم مدَّعون كذبة، فهل يُعقل أن يكون مع علي عليه السلام حقٌّ ثم لا يجد مَن يقوم معه ويناصره ويقاتل عنه، وهو الأبر الأطهر؟!

٣٨ ـ رصد الصحابة رضي الله عنهم تفاصيل حياة النبي صلى الله عليه وآله بدقة مبهرة، فهذا المكان الذي نزله، وهذا الطريق الذي سار فيه، وتلك السارية التي صلَّى إليها، كما وصفوا كلامه وهيئته في قيامه وجلوسه ومشيه ونومه، بل حتى نَفْخه في النوم، وحركة لحيته في الصلاة، وحفظوا أقواله ورووها، بحيث إن ما صحَّ عن نبينا صلى الله عليه وآله هو أضخم تراث مروي عن نبي، فهل يعقل بعد ذلك أن يَعْهد النبي صلى الله عليه وآله هذا العهد، ويعقد هذا العقد، ثم يَخْفَى أو يُخْفَى، ولا يَظهر ولا يُشهَر؟

٣٩ ـ خرج ابن الزُّبير رضي الله عنهما على يزيد، واجتمع إليه الناسُ، واعتصم بالبيت، وقاتل حتى قُتل(١)، وليس لديه عهدٌ ولا وصاة.

---

(١) ينظر: «تاريخ الطبري» (٦/ ١٨٧ ـ ١٩٣)، و«البداية والنهاية» (١٢/١٧٧ ـ ١٨٦).

أفلم يكن الإمام علي عليه السلام يقــدر على ما قدر عليه ابن عمته عبد الله بن الزُّبير، أو ما كان الحسن يقدر على ما قدر عليه ابن عمته، وهو الذي شهد الوصاة وسمع العهد؟!

٤٠ ـ لقــد كان الحســن بن علي عليه وعلــى والديه السلام مميِّزاً مدركاً مشهد غَدِير خُمٍّ مع والديه؛ فقد حجَّ أبوه وأمه مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا أحسبُ إلا أنه كان قريباً من أبيه حال خطبة النبي صلى الله عليه وآله فــي الغَدِير، وأنه رأى أباه ويدُه في يدِ النبيِّ صلى الله عليه وآله، وأنه ســمع ما قالــه النبيُّ صلى الله عليه وآله ووعاه، فقد كان يومها في الثامنة من عمره، ثم صارت إليه الخلافة، واستمكنت في يده ستة أشهر، ثم نزل عن حقِّه في الخلافة ـ وهو الأحق بها ـ لمعاوية بن أبي ســفيان؛ إصلاحاً بين المسلمين، وحفظاً لكيان الدولة، فهل نتوقع أن يحضر ذلك المشهد، ويســمع تلك الوَصاة ثم يتخلَّى عنها لابن أبي سفيان؟!

أي إساءةٍ لمقام سيِّدنا الحسن عليه السلام أعظم من هذه، بل مَن سيلوم الناس إذا تخلوا عن هذا العهد وقد تخلَّى عنه مَن عُهد به إليه، وحاشاه وحاشاهم.

ثم قارن ذلك بعثمان رضي الله عنه الذي بُويع بالخلافة، لا عن عهدٍ ولا عقدٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن عن شُورى ورضا

من المســلمين، فلما حُوصر في بيته وطُلب منه التخلِّي عن الخلافةِ اســتعصم وتلقَّى الموتَ كفاحاً؛ رعايةً ووفاءً لعقدِ المسلمين وبيعتهم.

فهل تظن بالحســن ابــن رســول الله ﷺ، ومَن أمه البَضْعةُ النبوية، وأبوه حبيبُ الله ورسوله ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة أن يتخلَّى عن عقــد النبي وعهده ويعطي الخلافة التي هي في يده إلى غيره وهي وَصاة رسول الله إلى أبيه؟

لا يمكن أن نظن بسِبْط رســول الله وريحانته وسلالة البَضْعة النبوية أن يسمع عقد النبي ﷺ وعهده إلى أبيه، ثم يعجز عما فعله عثمان رضي الله عنه لو أُلجئ إليه، وأهون عليه أن يتلقَّى الموت كفاحاً من أن يتخلَّى عن عقد النبي ﷺ وعهده لو عاقده وعاهده.

٤١ ـ كان بين «غَدِير خُمٍّ» ووفاة النبي ﷺ واستخلاف أبي بكر رضي الله عنه أربعة وثمانون يومــاً، وهي مدة قصيرة جدّاً لم يغب فيها مَن كان حاضراً، ولم ينــس مَن كان ذاكراً، ولم تتغير الأحوال فيقــال: كان ذلك في حال ونحن الآن في حال أخرى، فالعهد قريب.

فكيف تحضر هذه الحشود وَصاة النبي ﷺ وعهده، ثم بعــد فترة قصيــرة يُنقض العهــد، وتُغَيــر الوَصاة،

فلا يكون لأحد موقف ردٍّ، ولا اعتراض، ولا حتى استغراب وتساؤل؟!

هل يعقل ذلك أو يتصوَّر في أي جيل، فضلاً عن ذاك الجيل اليقظ المتحفِّز إلى رسول الله حبّاً ومتابعةً واقتناءً واحتفاءً؟!

٤٢ ـ أنزل الله سورة «النصر» بُشرى للنبي صلى الله عليه وآله بإكمال مشروعه الدَّعَوي، وانتهاء مهمته الرسالية على الأرض إذ تحقَّقت علاماتها، وتهَيُّئِه بعدها للحاق بالرَّفيق الأعلى والمحل الأسنى:

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾.

إنها بُشرى باستقامة أمر الدين واستتمامه، وقبول الناس له، ودخولهم فيه.

فيا لله أي بُشرى إذا كان دخولُ الناس في الدين دخولَ نفاق، يدخلون ويبايعون ويعاهدون، ثم ينكثون بأعظم عقد وعهد في يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وآله؟

هل سيبشِّر اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نبيَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بدخول الناس في دين الله أفواجاً، ويأمره بشكر هذه النعمة بالتسبيح والاستغفار، وهم سيرتدون عن دينه، ويفارقون عهده في يوم وفاته؟!

وأي نصرٍ من الله وفتحٍ لهذا الدين إذا كان صفوةُ أصحابه الذين تحقَّق بهم النصرُ والفتحُ سيعاقدونه ويعاهدونه، ثم ينكثون عهده وميثاقه قبل أن يُوارَى جسده الشريف؟ فما الظن إذن بمَن تبعهم وأسلَم بعدهم؟

حاشا لله أن تكون هذه عُقبى البُشرى الإلهية لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في خاتمة عمره وجهاده وبلاغه وبلائه.

ولكنها بُشرى بخلود الدين وبقاء الرسالة ما بقي الليل والنهار، وأن مهمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في البلاغ قد انتهت، وحان لحاقه بالرَّفيق الأعلى، وسيذهب الرسول، وتبقى الرسالة، وسيموت الداعية، وتبقى الدعوة.

وقل مثل ذلك في آيات الوعد بالإظهار للدين، والنصر للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾، فأي إظهار للدين ولرسالة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إذا كان الدين

سينطفئ في يوم وفاة الرسول ﷺ، وقبل غسله وتكفينه ودفنه بنقض أعظمِ عقْـدٍ عَقَد، وعاهد عليه، واستشـهد واستوثق منه؟! لا يمكن أن يكون هذا هو الإظهار الإلهي، ولا البُشـرى القرآنية، ولكنها بُشـرى بخلود الدِّين وبقاء الرسالة كما بلَّغها رسول الله وأدَّاها وبايع عليها وعاقد.

٤٣ ـ في إيـراد القصة بهذا السـياق اتهامٌ للنبي ﷺ بنوع من السذاجة، وأنه خُدِع من أقرب الناس إليه، وهم صحبه الأقدمـون الأقربـون، فعاقدوه وعاهـدوه، وهم يضمرون خديعتـه، وعَبَر ذلـك عليه، وهـذه هي تهمة المنافقين للنبي ﷺ يوم قالوا: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ أي: يعبر عليه خداع القول الذي يسمعه ويُخدع به، فرد اللهُ عليهم قائلاً: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾(١).

مع أننا حينما نقرأ سيرة النبي ﷺ نجد أنه لم يَخْدع أحداً، ولم يخدعه أحـدٌ، وما لم يعلمه النبي ﷺ بفطنته تنزَّل عليه الوحيُ فأخبره به، ولا يمكن أن يقودَ البشرية، ويحقِّق الإنجـاز التاريخي العظيم من كان سـاذجاً غرّاً، يتمكَّن منه الخادعون والمنافقون، ويَعْبُر عنده تظاهرهم، وما يخفى من كيدهم.

---

(١) ينظر: «تفسير ابن عطية» (٣/ ٥٢).

٤٤ ـ عُرف عن عليٍّ عليه السلام مراجعته الخلفاء، وإبداء رأيه ولو خالفهم، **ومن ذلك:**

إنكاره على عمر رضي الله عنه رجم المجنونة، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: مَرَّ عليُّ بن أبي طالب بمجنونة بني فلان، قد زنت، وأمر عمرُ برجمها، فرَجَعَها عليٌّ، وقال لعمرَ: يا أميرَ المؤمنين، ترجمُ هذه؟ قال: نعم. قال: أو ما تذكرُ أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ**». قال: صَدَقْتَ. فخلَّى عنها[1].

وكان عمر رضي الله عنه يستعيذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن[2].

وكذلك إنكار عليٍّ على عثمان رضي الله عنهما نهيه عن المتعة في الحج، كما في حديث سعيد بن المسيب قال: اختلف عليٌّ وعثمان رضي الله عنهما ـ وهما بعُسْفان ـ في المتعة، فكان عثمانُ ينهى أن يجمع الرجلُ بين الحجِّ والعمرة، وكان عليٌّ يأمرُ

(١) «مسند أحمد» (١١٨٣، ١٣٢٨، ١٣٦٢)، و«سنن أبي داود» (٤٣٩٩ ـ ٤٤٠٣)، و«جامع الترمذي» (١٤٢٣)، و«سنن ابن ماجه» (٢٠٤١).

(٢) ينظر: «طبقات ابن سعد» (٢/٢٩٣)، و«فضائل الصحابة» (١١٠٠)، و«معجم الصحابة» للبغوي (١٨١٧)، و«تاريخ دمشق» (٤٢/٤٠٦).

بها، فقال عثمانُ لعليٍّ: ألم تعلم أني قد نهيتُ عن هذا؟ قال: بلى. فقال عثمان: أتفعلها وأنا أنهى عنها؟ فقال عليٌّ: ما تريد إلى أمر فعله رسولُ الله ﷺ تَنْهَى عنه؟ فقال عثمانُ: دعنا منك. فقال: إني لا أستطيع أن أَدَعَك؛ سمعتُ رسول الله ﷺ يلبِّي بهما جميعاً، فلم أكن لأَدَع سنةَ رسول الله ﷺ لأحد من الناس. فقال: أجل، ولكنا كنا خائفين، فلما رأى عليٌّ ذلك أهلَّ بهما جميعاً(١).

فانظر إلى كلمته النورانية: لم أكن لأَدَع سنة رسول الله ﷺ لأحد من الناس.

فهل يمكن إذن أن يدع عهد رسول الله ﷺ ووصاته لأحد من الناس؟

وهل يتصور أن يستعلن برأيه المخالف في هذه القضايا، ولا يستعلن برأيه أمام آرائهم في أصل الاختيار للخلافة؟! فمعه النص والوصاة والعهد، فيعترض أن يلي الخلافة أحدٌ، وقد نص النبيُّ ﷺ على الخليفة من بعده.

فهذا الحكم أهم من تلك الأحكام الجزئية وأسبق، وأوثق وأحكم، لو كان ثمة وصاة وعهد!

---

(١) «مسند الطيالسي» (٩٦)، و«مسند أحمد» (٤٠٢، ٤٣١، ١١٤٦)، و«صحيح البخاري» (١٥٦٣)، و«صحيح مسلم» (١٢٢٣)، و«سنن النسائي» (١٤٨/٥).

٤٥ ـ عندما تولّى أبو بكر رضي الله عنه الخلافة سألته فاطمةُ والعباس عليهما السلام أن يقسم لهما ميراثهما مما ترك رسولُ الله صلى الله عليه وآله في أرض فدك وسهمه بخيبر، فعن عائشة: أَنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام، وَالعَبَّاسَ، أَتَيَا أَبَا بَكْرٍ يَلْتَمِسَانِ مِيرَاثَهُمَا، أَرْضَهُ مِنْ فَدَكٍ، وَسَهْمَهُ مِنْ خَيْبَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله، يَقُولُ: «**لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ فِي هَذَا المَالِ**» وَاللهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي[1].

وقد غضبت فاطمةُ بنتُ رسول الله صلى الله عليه وآله، فهجرت أبا بكر، ولم تزل مهاجرته حتى توفِّيت، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستة أشهر[2].

إن سيِّدة نساء العالمين عليها السلام لم تتردَّد في المطالبة بما تعتقده حقّاً لها، وأعلنت رأيها، وأشهرت مغاضبتها لأبي بكر رضي الله عنه، وذلك في شأن الميراث من رسول الله صلى الله عليه وآله، أفليست الوصية بالخلافة لزوجها وابن عمها أولى أن تذكره وتطالب به؟!

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٠٣٥).

(٢) ينظر: «مسند أحمد» (٣٠٩٢، ٣٧١١، ٣٧١٢، ٩٠٩٣)، و«صحيح البخاري» (٣٠٩٢، ٣٠٩٣، ٣٧١١، ٣٧١٢)، و«صحيح مسلم» (١٧٥٩).

وإذا كانت سيدة نساء العالمين تطالب وتغاضب أبا بكر في شأن الميراث، أفلا يستطيع عليٌّ زوجها أن يطالب بوصاته والعهد بالإمامة له، لو كان ثمة عهد ووصاة؟

وهل يجرؤ العباس على المطالبة بميراثه ومواجهة أبي بكر بذلك ولا يجرؤ علي عليه السلام على المطالبة بعهده ووصاته؟

٤٦ ـ علاقة عليٍّ مع أبي بكر رضي الله عنهما علاقة محبة واحتفاء وتقدير، يتجلَّى ذلك في مشهد أبي بكر أيام خلافته مع عليٍّ رضي الله عنهما، وهما يتماشيان خارجان من المسجد بعد صلاة العصر، فيرى أبو بكر الحسنَ بن عليٍّ رضي الله عنهم في الطريق يلعب مع الصبيان، فيُقبل إليه، فيأخذُه ويحمله على عاتقه، وهو ينشد:

وَا بِأَبي شِبْهُ النَّبي   ليس شبيهاً بعَلَي

وعليٌّ يمشي إلى جانبه يضحك سروراً بصنيع أبي بكر[1].

فهل مشهدٌ أعذب وُدّاً وأقرب قرباً من مشهد الحب البهيج هذا؟

---

(١) ينظر: «مسند أحمد» (٤٠)، و«صحيح البخاري» (٣٥٤٢، ٣٧٥٠).

كما يتجلَّى الاحتفاء بينهما في تسمية عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أحد أبنائه: أبا أبكر، على اسم الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وعاش أبو بكر بنُ عليِّ بن أبي طالب حتى استشهد مع أخيه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في كَرْبلاء[(١)].

وفي زواج عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بأرملة أبي بكر أسماء بنت عُميس رَضِيَ اللهُ عَنْهَا[(٢)]، وتربية ابنها محمد بن أبي بكر في حَجْره، ونشأته بين يديه، وتعلقه به محبةً ونصرةً، ولذا كان مع عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في معركة الجمل وصفِّين، وكان على الرَّجَّالة يوم الجمل، وولَّاه عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ على مصر، ولما قُتل حزن عليه حزناً شديداً، وقال: إني كنتُ لأَعُدُّه ولداً، وكان أخاً وابنَ أخ، فعند الله نحتسبُه[(٣)].

ويتجلَّى الحب والاحتفاء في علاقة عليٍّ بعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، بتزويجه ابنته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وابنة فاطمةَ الزهراء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ[(٤)].

---

(١) ينظر: «طبقات ابن سعد» (٤٤٢/٦)، و«تاريخ الطبري» (٤٦٨/٥)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٨٠٣)، و«الثقات» لابن حبان (٣١١/٢).

(٢) ينظر: «مصنف عبد الرزاق» (٧٩٥٠)، و«الاستيعاب» (١٧٨٤/٤ ـ ١٧٨٥)، و«تهذيب الكمال» (١٢٧/٣٥)، و«البداية والنهاية» (٤٤٤/٦ ـ ٤٤٥).

(٣) ينظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (١٦٨/١)، و«أسد الغابة» (٩٧/٥).

(٤) ينظر: «سيرة ابن اسحاق» (٢٤٨/١)، و«طبقات ابن سعد» (٤٢٩/١٠)، =

وإنما خطبهــا عمرُ رضي الله عنه إلى علــيٍّ عليه السلام؛ حرصاً على القُربــي مــن النســب الشــريف، وقــال: إني ســمعتُ رســولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولُ: «**كُلُّ نَسَــبٍ وَسَــبَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا نَسَبِي وَسَــبَبِي**»، فأحببتُ أن يكون بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سببٌ ونسبٌ[(١)].

فولدت أم كلثوم لعمر ابنه زيد بن عمر الأكبر، ورقية بنت عمر، وعاش زيد حتى توفي شــابّاً مع أمه أم كلثوم في يوم واحد[(٢)].

ومن مشاهد الوُدِّ بين عليٍّ وعمرَ رضي الله عنهما تسمية عليٍّ أحدَ أبنائه: عمر، على اسم الفاروق، وكان وُلد في خلافة عمر، فسماه عمر باســمه، ووهبه غلاماً اســمه: مُورِّق، ورضي

= و«الذرية الطاهرة» (ص٦١، ١١٦)، و«تاريخ دمشــق» (٤٨٢/١٩)، و«أســد الغابة» (٣٧٧/٧)، و«الإصابة» (١٢٤/٤).

(١) ينظر: «مصنف عبد الرزاق» (١٠٣٥٤)، و«سنن سعيد ابن منصور» (٥٢٠)، و«فضائل الصحابة» لأحمد (١٠٦٩، ١٠٧٠)، و«الشريعة» للآجري (١٧١٤، ١٨٢٠)، و«المســتدرك» (١٤٢/٣)، و«مســند الفــاروق» (٣٨٩/١ ـ ٣٩٢)، و«السلسلة الصحيحة» (٢٠٣٦).

(٢) ينظر: «طبقات ابــن ســعد» (٤٢٩/١٠)، و«التاريخ الأوســط» للبخاري (١٠٢/١)، و«ســنن البيهقــي» (١١١/٧ ـ ١١٢)، و«دلائل النبــوة» للبيهقي (٢٨٣/٧)، و«تاريخ دمشــق» (٤٨٣/١٩)، و«سير أعلام النبلاء» (٥٠٢/٣)، و«الوافي بالوفيات» (٢٤/١٥، ٢٧٢).

عليٌّ بذلك وأقره، وعاش عمر بن علي بن أبي طالب إلى عهد الوليد بن عبد الملك[١].

ولما تُوفي عمر رضي الله عنه ووُضع على سـريره، وقف عليه عليٌّ عليه السلام فترحَّم عليه، وقال: ما خلَّفتُ أحداً أحبَّ إليَّ أن أَلْقَى اللهَ بمثل عملـه منك، وايْـمُ الله، إن كنتُ لأظنُّ أن يجعلكَ اللهُ مع صاحبيك، وحسبتُ أني كنتُ كثيراً أسمعُ النبيَّ صلى الله عليه وآله يقولُ: «**ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**»[٢].

فهل يمكـن أن تكون هذه العلاقـة الحفيَّة بهما وهو يراهما غاصبين لحقِّه، ناكثين بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله إليه؟!

٤٧ ـ كان بنو هاشـم عندما تُوفِّي النبيُّ صلى الله عليه وآله جمعاً غير قليل، منهم: العباس بن عبد المطَّلب، وأبناؤه: الفضل وقُثَم وعبد الله، وعَقِيل بن أبي طالـب، وأبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطَّلب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطَّلب، ورَبِيعة ابن الحارث بـن عبد المطَّلب، وغيرهم، وكـذا بنو عمهم بنو المطَّلب بن عبد مناف الذين قال فيهم النبيُّ صلى الله عليه وآله: «**إِنَّمَا بَنُو**

(١) ينظر: «مقتل أمير المؤمنين علي» (١٢٧)، و«تاريخ دمشـق» (٤٥/٣٠٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٤/١٣٤).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٦٨٥)، و«صحيح مسلم» (٢٣٨٩).

هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ»[(١)]، فكيف لم يتكلم أحدٌ منهم أو يعترض؟ وكيف لم يُذْكَر لهم موقفٌ جماعي على أخذ الأمر الذي عهد به النبي ﷺ إليهم في شخص عليٍّ عليه السلام، على ما نَعْلَمه من قوة علاقة القُربى بينهم؟!

لقد وقف بنو هاشم وبنو المطَّلب مع النبي ﷺ مسلمُهم وكافرُهم أمام قريش كافةً في حصار الشِّعْب، أفلا يقفون مع عليٍّ عليه السلام ومعه عهد النبي ﷺ وميثاقه؟!

٤٨ ـ عندما وقف الإمام الحسين بكربلاء جعل يناشد أهل الكوفة ويقول: لَا تَعْجَلُوا، وَاللهِ مَا أَتيتُكُم حَتَّى أَتَتْنِي كُتُبُ أَمَاثِلِكُم بِأَنَّ السُّنَّةَ قَدْ أُمِيتَتْ، وَالنِّفَاقَ قَدْ نَجَمَ، وَالحُدُوْدَ قَدْ عُطِّلَتْ؛ فَاقْدَمْ، لَعَلَّ اللهَ يُصلِحُ بِكَ الأُمَّةَ، فَأَتَيْتُ؛ فَإِذْ كَرِهتُم ذَلِكَ، فَأَنَا رَاجِعٌ، فَارْجِعُوا إِلَى أَنْفُسِكُم؛ هَلْ يَصلُحُ لَكُم قَتْلِي، أَوْ يَحِلُّ دَمِي؟ أَلَسْتُ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكُم وَابْنَ ابْنِ عَمِّهِ؟ أَوَ لَيْسَ حَمْزَةُ وَالعَبَّاسُ وَجَعْفَرٌ عُمُوْمَتِي؟ أَلَمْ يَبلُغْكُم قَوْلُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ فِيَّ وَفِي أَخِي: «**هَذَانِ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ؟**»[(٢)].

---

(١) «صحيح البخاري» (٣١٤٠، ٣٥٠٢، ٤٢٢٩).

(٢) ينظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٥/ ٣٣٩)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٠٢).

فكيف ذَكَّرهم بفضائله وفضائــل أبيه وأخيه وأعمامه ولم يُذَكِّرهم بحديث الغدير ويناشدهم به؟ ولم يذكر أنه وارث الوصاية من بعد أخيه لو كانت ثم وصاية وعهد؟

٤٩ ـ قال السيد محمد رشــيد رضا في «**تفسير المنار**» عند قوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ**﴾: إننا نجزم بأن مســألة الإمامة لو كان فيها نــصٌّ من القرآن أو الحديــث لتواتر واســتفاض، ولم يقع فيهــا ما وقع من الخلاف، ولتصدَّى عليٌّ للقيام بأمر المســلمين يوم وفاة النبي ﷺ، فخطبهم وذكَّرهم بالنص، وبيَّن لهم ما يحسن بيانه في ذلك الوقت، وكان هو الواجب عليه لو كان يعتقد أنه الإمام بعد رسول الله ﷺ بأمر من الله ورسوله.

ولكنه لم يقل ذلك، ولا احتجَّ بالآية هو ولا أحدٌ من آل بيته وأنصاره الذين يفضِّلونه على غيره، لا يوم السَّقِيفة، ولا يوم الشُّــورى بعد عمر، ولا قبل ذلــك ولا بعده في زمنه، وهو هو الــذي كان لا تأخذه في الله لومةُ لائم، ولم يعــرف التَّقِيَّة في قــول ولا عمــل؛ وإنما وُجــدت هذه المسائل، ووُضعت لها الروايات، واستُنبطت الدلائل بعد تكوُّن الفِرَق، وعصبية المذاهب.

والوصية بالخلافة لا مناسبة لها في سياق محاجة أهل الكتاب، فهي مما لا ترضاه بلاغة القرآن، بل لو أراد النبيُّ ﷺ النص على خليفته من بعده، وتبليغ ذلك للناس، لقاله في خطبته في حجة الوداع، وهي التي استشهد الناسَ فيها على تبليغه فشهدوا، وأشهد اللهَ على ذلك.

دع سياق الآية وما قبلها وما بعدها؛ فإنها هي نفسها لا تقبل أن يكون المراد بالتبليغ فيها تبليغ الناس إمارة علي، وأما المتبادر من الآية فالظاهر أنه الأمر بالتبليغ العام في أول الإسلام، فتأمَّل الآية في ذاتها بعين البصيرة، لا بعين التقليد.

وأما الحديث فنهتدي به، نُوالي عليّاً المُرتضى، ونُوالي مَن والاهم، ونُعادي مَن عاداهم، ونعدُّ ذلك كموالاة رسول الله ﷺ، ونؤمن بأن عِترته ﷺ لا تجتمع على مفارقة الكتاب الذي أنزله الله عليه، وأن الكتاب والعِترة خليفتا الرسول، فقد صحَّ الحديث بذلك في غير قصة الغَدِير، فإذا أجمعوا على أمر قبلناه واتَّبعناه، وإذا تنازعوا في أمر رددناه إلى الله والرسول. انتهى باختصار[1].

(١) ينظر: «تفسير المنار» (٦/٣٨٤ ـ ٣٨٧).

٥٠ ـ إن هذا النبي الكريم ﷺ الذي اصطفاه الله ليكون رسوله إلى الثقلين الجن والإنس، وأن يكون خاتم الرسل وأفضلهم، وجعل مهمته استنقاذ البشرية كافة، وجعل دينه باقياً إلى قيام الساعة، لا يعقل أن تكون قضيته ومهمته الكبرى توريث الملك والسياسة لقرابته، وإيثارهم على غيرهم، وتمييزهم على من سواهم.

فهل تختصر مهمة النبي العظيم في هذا الهدف الشخصي الأُسري؟!

إن مهمة الرسول ﷺ هي تعبيد الناس لرب العالمين، واستنقاذهم من الضلال والحيرة إلى نور البصيرة والهداية: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾، ولم يرزأ ﷺ الناس شيئاً من دنياهم، ولا نافسهم في أموالهم وولايتهم، ولا سألهم أجراً على بلاغه رسالةَ الله إليهم، ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ﴾.

٥١ ـ مما يطرح من التساؤلات حول الوصية بالإمامة القول بأن النبي ﷺ لم يكن يَخرجُ من المدينة لسفر أو جهاد حتى يولي عليها والياً يخلفه في غيبته، فكيف يدع الأمة بعد وفاته بلا ولاية ولا وصي؟

والجواب: أن السفر هو غياب مؤقت يعهد فيه بولاية المدينة إلى وال هو حاكم مؤقت بسلطات محدودة.

وأما الولايــة بعد وفاته ﷺ فهي ولايــة عامة دائمة، بســلطات كاملة، ولذا تركها ﷺ للأمــة لتختار حاكمها بالطريقة التي تناســبها من خلال الشــورى، ولكل عصرٍ وحالةٍ طرقها المناسبة لها في الاختيار والتعيين.

ولو أوصى النبي ﷺ لخليفة من بعده لكانت ســنة متبعة، فترتهن الأمة للحاكم في حياته ولمن يعهد إليه بعد وفاته، ولبقيت الطريقةُ الوحيــدة لتولي الحكم هي العهد من الحاكم السابق للذي يليه.

ولكان هذا هــو نمط الحكم الإســلامي في كل بلد إســلامي إلى يومنا هذا، ولغابت الشورى وغُيِّبت الأمة، ولذا فإن الطريقــة النبوية في عدم النــص على الخليفة تفويضٌ للأمة، وتأهيــلٌ لها في اتخاذ قرارها في مســار المبادئ العامــة للحكم التــي حددها لهم كالشــورى، والعدل، والجماعة ونحوها.

٥٢ ـ وعندما ننظر الآن في مســار التاريخ وما فيه من تموجــات وتقلبات، نعلــم بيقين أنه كان مــن لطف الله بخلقه، وحكمته البالغة في شــرعه، أَلَّا يعهد النبيُّ ﷺ

بالخلافة لأحدٍ بعده؛ لأن سياسة الدولة واختيار الحاكم وطرق الحكم أمر دنيوي، يختلف الاجتهاد فيه باختلاف الأحوال والأزمان، فتَرَكَ النبيُّ صلى الله عليه وآله الأمة من غير عهد صريح بالخلافة ينص على أحد من أصحابه بعينه، فتولَّى أبو بكر رضي الله عنه بطريقة الشُّورى المصغَّرة، وتولَّى عمر رضي الله عنه بالعهد ممن قبله بعد استشارة أُولي الرأي والمشورة، وتولَّى عثمان رضي الله عنه بالشورى الموسَّعة، وتولَّى علي عليه السلام بانتخاب الناس له، فلم يكن في وقته مَن يختاره الناس عليه، وَوُلِّي الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما الخلافة ثم تنازل عنها؛ رعاية لمصلحة الأمة، وخرج الإمام الحسين رضي الله عنه طلباً للخلافة؛ استنقاذاً للأمة.

فتنوع الطرق في فترة محدودة بين الخلفاء مؤذنٌ بأن لكل عصرٍ ما يلائمه.

وإن من حكمة الشارع وسعة الشرع أن تُركت طريقة تولِّي الإمامة غير منصوصة؛ لتكون مساحة الاجتهاد والتنوع فيها واسعة بما يناسب تغيرات الناس وتطورات الأحوال.

٥٣ ـ لو كان النبي صلى الله عليه وآله حريصاً على الوصاية لآله من بعده فَلِمَ لَمْ يؤثرهم بها في حياته، فلم يول على مكة حين فتحها أحدا من بني هاشم وإنما ولى عليها

عَتَّاب بن أَسِيد من بني أمية بن عبد شمس، وولى على الطائف عثمان بن سعيد بن العاص من بني أمية بن عبد شمس، ولم يول أحداً من بني عبد المطلب؟!

٥٤ ـ تمت البيعة للصديق في سقيفة بني ساعدة وهي من دور الأنصار وهي سقيفة سيدهم سعد بن عبادة، ولم يكن فيها من المهاجرين إلا ثلاثة: أبو بكر، وعمر وأبو عبيدة وهم قلة في كثرة من الأنصار، ومع ذلك اقتنعوا ولم يضعفوا أو يستضعفوا.

٥٥ ـ في غزوة الأحزاب وأثناء شدة حصار الخندق أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنِ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيِّ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ رَأْسُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ غَطَفَانَ، وَهُوَ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ: «**أَرَأَيْتَ إِنْ جَعَلْتُ لَكَ ثُلُثَ ثَمَرِ الْأَنْصَارِ أَتَرْجِعُ بِمَنْ مَعَكَ مِنْ غَطَفَانَ؟ وَتُخَذِّلُ بَيْنَ الْأَحْزَابِ؟**»، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُيَيْنَةُ إِنْ جَعَلْتَ لِي الشَّطْرَ فَعَلْتُ، فَأَرْسَلَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَهُوَ سَيِّدُ الْأَوْسِ، وَإِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ فَقَالَ لَهُمَا: «**إِنَّ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ قَدْ سَأَلَنِي نِصْفَ ثَمَرِكُمَا عَلَى أَنْ يَنْصَرِفَ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ غَطَفَانَ، وَيُخَذِّلَ بَيْنَ الْأَحْزَابِ، وَإِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُهُ الثُّلُثَ فَأَبَى إِلَّا الشَّطْرَ، فَمَاذَا تَرَيَانِ؟**» قَالَا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتَ أُمِرْتَ بِشَيْءٍ فَامْضِ لِأَمْرِ اللهِ،

فَقَــالَ رَسُــولُ اللهِ ﷺ: «لَــوْ كُنْتُ أُمِــرْتُ بِشَــيْءٍ لَمْ أَسْــتَأمِرْكُمَا، وَلَكِنْ هَذَا رَأْيِي أَعْرِضُــهُ عَلَيْكُمَا»، فَقَالَ لَهُ سَــعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: يَا رَسُــولَ اللهِ، قَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَى الشِّــرْكِ بالله وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، لَا نَعْبُدُ اللهَ وَلَا نَعْرِفُهُ، وَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُــوا مِنْهَا تَمْرَةً إِلَّا قِــرًى أَوْ بَيْعاً، أَفَحِيــنَ أَكْرَمْنَا اللهُ بِالْإِسْــلَامِ وَهَدَانَا لَهُ وَأَعَزَّنَــا بِكَ وَبِهِ، نُعْطِيهِــمْ أَمْوَالَنَــا؟! وَاَللهِ مَا لَنَــا بِهَــذَا مِنْ حَاجَــةٍ، وَاَللهِ لَا نُعْطِيهِمْ إلَّا السَّــيْفَ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَأَنْتَ وَذَاكَ»[(١)].

وهذا الموقف من ســيد الأوس سعد بن معاذ يعبر عن موقــف جماعي للأنصــار جميعاً، حــكاه عنهم سعد بن معاذ، وما كان له أن يقول ذلك إلا وهو على بصيرة من حال قومه، وقوتهم، ومنعتهم، واستبسالهم في الدفاع عن حقهم.

فهــل يمكــن أن يقفــوا هــذا الموقف الصــارم في حياته ﷺ، وأن يحموا ثمار المدينة بحد الســيوف، ثم نتصور أن يضعفوا هم وقومهم يوم وفاته عن أمر يعتقدونه ديناً ووصاة نبوية؟

(١) «مصنف عبد الرزاق» (٩٧٣٧)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٢٣).

٥٦ ـ بلغ ابن عمر أن رجلاً نال من عثمان فدعاه عبد الله بن عمر فأقعده بين يديه فقرأ عليه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾. قال: أمن هؤلاء أنت؟ قال: لا. ثم قرأ عليه: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. ثم قال له: أمن هؤلاء أنت؟ قال: لا، ثم قرأ عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. ثم قال: أمن هؤلاء أنت؟ قال: أرجو أن أكون منهم. قال عبد الله: لا والله ما يكون منهم من يتناولهم وكان في قلبه الغل عليهم.

وهكذا نقول اليوم لكل مسلم شيعيٍ أو سنيٍ: إذا فاتك أن تكون من المهاجرين الذين هاجروا مع رسول الله، وأن تكون من الأنصار الذين نصروا رسول الله، فلن يفوتك أن تكون من الذين جاؤوا من بعدهم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، فلعلك بدعائك لهم،

وسلامتك من الغل عليهم، تنال شرف ثناء الله عليهم، وتلحق بكريم ثوابه لهم.

٥٧ ـ إن النص على الإمامة والخلافة لتكون ديناً ومعتقداً لا يصح إيمان أحد إلا باعتقاده لا يمكن أن يكون بنص محتمل وإنما يكون بنص صريح الدلالة، جلي المعنى، لا لبس فيه، ولا احتمال لمعان أخرى، بينما هذا النص يحتمل معاني واسعة، وكذلك الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ فإنها ليست صريحة الدلالة، وقضية مثل هذه لا بد أن تكون صريحة الدلالة، واضحة المعنى، ولا يمكن أن يذكر الله ﷻ فدية هدي التمتع بكلام صريح لا يحتمل غيره فيقول: ﴿فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ بينما يذكر القضية الضخمة الكبرى وهي الخلافة بهذا النص المجمل المحتمل لمعان كثيرة، ولا يمكن أن تذكر الصلاة في القرآن قرابة «١٠٠» مرة، والذكر أكثر من «٢٦٠» مرة، والصبر أكثر من «١٠٠» مرة، والوصايا والمواريث قرابة «٧٠» مرة، والعفو أكثر من «٣٠» مرة، وهكذا تكررت أوامر كثيرة بنص صريح مؤكد، ولم تذكر الوصية بإمامة أمير المؤمنين بنص صريح مرة واحدة برغم أهميتها وآكديتها ومنزلتها من الدين عند من يرى ذلك.

٥٨ ـ دلالة المصاهرات التي استمرت بين بيوت الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان وبيوت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولا تكون هذه المصاهرات إلا في بيوت قد عمر الود بينها.

واستمرت هذه المصاهرات بين أبنائهم وأحفادهم[١]، ومن ذلك:

أولاً: آل أبي بكر:

أ ـ تزوج الحسن بن علي بن أبي طالب حفصةَ بنت عبد الرحمن بن أبي بكر.

ب ـ تزوج موسى «الجون» بن عبد الله «المحض» ابن الحسن بن علي بن أبي طالب أمَّ سلمة بنت محمد ابن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر.

ج ـ تزوج محمد الباقر بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب أمَّ فروة بنت القاسم بن محمد ابن أبي بكر، وكانت أمها من أحفاد أبي بكر الصديق، فهي

---

(١) ينظر: «بحار الأنوار» للمجلسي (٢٨٧/٧٨) (٢٠١/٢٢)، و«تاريخ اليعقوبي» (١٦٢/٢)، و«أعيان الشيعة» لمحسن الأمين (٤٨٦/٣)، و«رياض المسائل» للطبطبائي (٦٦٤/١٢)، و«الآل والأصحاب محبة وقرابة» (٢١ ـ ٣٠).

أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وكان من حاصل زواجهما جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي الملقب بجعفر الصادق.

ولهذا السبب يقول جعفر الصادق: ولدني أبو بكر مرتين[1].

د ـ تزوج إسحاق بن عبد الله بن علي بن الحسين كلثم بنت إسماعيل بن عبد الرحمن بن القاسم ابن محمد بن أبي بكر.

ثانياً: آل عمر:

أ ـ تزوج عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمَّ كلثوم بنت علي ابن أبي طالب حفيدة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنجبت له زيد بن عمر ابن الخطاب ورقية.

وكان زيد يفتخر بأبويه عمر وعلي رضي الله عنهما ويقول: أنا ابن الخليفتين.

ب ـ تزوج الحسين بن علي بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب جويريةَ بنت خالد بن أبي بكر ابن عبد الله بن عمر.

(١) «كشف الغمة» للإربلي (٢/٣٧٤)، و«معجم رجال الحديث» للخوئي (١٥/٤٩).

ثالثا: آل عثمان:

أ ـ تزوج أبان بن عثمان بن عفان أمَّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

ب ـ تزوج زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان سكينةَ بنت الحسين بن علي بن أبي طالب.

ج ـ تزوج عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فاطمةَ بنت الحسين بن علي بن أبي طالب.

د ـ تزوج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رقيةَ بنت محمد بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان بن عفان.

هـ ـ تزوج إسحق بن عبد الله بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عائشةَ بنت عمر بن عاصم بن عمر ابن عثمان بن عفان.

٥٩ ـ وإذا نظرنا إلى أسماء آل البيت وجدنا أسماء الخلفاء حاضرة في أسمائهم، ولم يتحر الآباء تسمية الأبناء بأسماء الخلفاء إلا ولهم قدر ومكانة في نفوسهم، وودٌ في قلوبهم[١]، ومن ذلك:

(١) ينظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر، و«الطبقات الكبرى» لابن سعد، =

أ ـ تسـمية علي عليه السلام ثلاثة من أبنائه بأسماء الخلفاء وهم:

- أبوبكر بن علي بن أبي طالب، استشـهد مع أخيه الحسين في كربلاء.
- عمر بن علي بن أبي طالب.
- عثمان بن علي بن أبي طالب، استشـهد مع أخيه الحسين في كربلاء.

ب ـ سمى الحسن والحسين أبناءهما بأسماء الخلفاء وهم:

- أبوبكر بن الحسن بن علي بن أبي طالب، استشهد مع عمه الحسين في كربلاء.
- عمر بن الحسـن بن علي بن أبي طالب، استشهد مع عمه الحسين في كربلاء.
- عمر بن الحسـين بن علي بن أبي طالب، استشهد مع أبيه الحسين في كربلاء.

= و«أنسـاب الأشـراف» للبلاذري، و«منتهـى الآمال» لعبـاس القمي، و«الإرشـاد» للمفيد، و«معجم الحديث» للخوئـي، و«الآل والأصحاب محبة وقرابة» (١٩ ـ ٢٠).

ج ـ سمى علي بن الحسين زين العابدين اثنين من أبنائه بأسماء الخلفاء وهم:

- عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.
- عثمان بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

د ـ سمى موسى الكاظم اثنين من أبنائه بأسماء الخلفاء وهم:

- أبوبكر بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب.
- عمر بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب.

هـ ـ وكما سموا الأبناء بأسماء الخلفاء فقد سموا البنات بأسماء أمهات المؤمنين، ومن ذلك:

- عائشة بنت جعفر الصادق.
- وعائشة بنت موسى الكاظم.
- وعائشة بنت علي الرضا.
- وعائشة بنت الجواد.

٦٠ ـ كان عمر رضي الله عنه يولّي علياً عليه السلام على المدينة إذا سافر منها، ومن ذلك أنه رَكِبَ فِي الْجُيُوشِ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَنَزَلَ عَلَى مَاءٍ قريب من المدينة يُقَالُ لَهُ: صِرَارٌ. فَعَسْكَرَ بِهِ عَازِماً

عَلَى غَزْوِ الْعِرَاقِ بِنَفْسِهِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَلِيَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وِسَادَاتِ الصَّحَابَةِ، ثُمَّ عَقَدَ مَجْلِساً لِاسْتِشَارَةِ الصَّحَابَةِ فِيمَا عَزَمَ عَلَيْهِ، فأشار عليه عبد الرحمن بن عوف بالرجوع إلى المدينة وأن يرسل رجلاً غيره، فمال الناس لهذا الرأي ورجع عمر(١).

وقد ولى عمر علياً المدينة عدة مرات حتى إنه يغلب على الظن أن عمر لم يسافر من المدينة إلا كان عليٌّ مرافقه في سفره أو خليفته في المدينة(٢)، ولا يكون ذلك لولا الثقة والحب المتبادل بين أمير المؤمنين عمر وأمير المؤمنين علي عليهما رضوان الله وسلامه.

٦١ ـ دلالة قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ فهذه الخيرية لهذه الأمة بالمؤهلات المذكورة: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ وأولى وأول من يخاطب بهذا الخطاب هم الأمة الذين كانوا مع النبي ﷺ، فأين كانوا بعد أن توفي النبي ﷺ وغُيِّر العهد ونقضت الوصاة، إن كان ثمة عهد ووصاة؟!

وأين قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأداء الشهادة والقيام بها؟!

---

(١) ينظر: «البداية والنهاية» (٩/ ٦١٣).

(٢) ينظر: «تاريخ اليعقوبي» (٢/١٤٧).

٦٢ ـ لا يصح أن نعتقد أننا لا نرفع قيمة الإمام علي عليه السلام إلا بخفض بقية الصحابة، فنصوره بأنه المؤمن بين منافقين، والوفي بين غادرين، والثابت بين متغيرين، ولكنّ علياً كان خَيِّراً بين أخيار، وبطلاً بين أبطال، ومع ذلك ظهر تميزه وفضله، ولم يُغمر بسبب كثرة المميزين حوله، وإن من الجناية على عليّ أن نظن أن ضوءه لا يشع إلا أذا كسفت النجوم حوله.

إننا نغمط علياً عليه السلام حقه وقدره حين نظن أن شرفه ومجده لا يظهر إلا بهدم أمجاد من حوله، وأنه لا يرتفع إلا بخفض أصحابه، مع أنه كان مديد القامة في علمه ومجده وفضائله، وطال بها بين أسيادٍ طوال، ولم يكن ممن يَظهر فضله لأنه ليس في الساحة غيره، ولم يَسبِق لأنه ليس في المضمار سواه.

ولذا فكل ثناء على الصحابة فهو ثناء عليه معهم، وكان كوكباً ساطعاً بين كواكب مضيئة كثر، فلم تكسف أنوارهم نوره، أو تخفت أضواؤهم ضياءه.

٦٣ ـ كم الذين رووا حديث الولاية من الصحابة؟ أليسوا جمعاً كاد أن يبلغ حد التواتر؟ هل منهم من اعترض على أبي بكر في ولايته، أو أنكر ذلك ونازعه فيه؟ إن هذا الجمع

لا يمكن أن يشهد المشهد، ويروي الحديث، ويحدث به ثم يستعلن بمخالفته والتخلي عن وصاته وعهده.

٦٤ ـ تنزلت آيات القرآن في الثناء على أهل بيعة الشجرة، تزكي ما في قلوبهم، وتبشرهم برضا الله عنهم، ومدده لهم بالسكينة والفتح القريب: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾، مع أنها منقبة خاصة لمن بايعوا بيعة الرضوان، فكيف تذكر هذه البيعة ولا تذكر بيعة الغدير في القرآن وهي بيعة على حكم يتعلق باعتقاد الأمة كلها، وسياسة دينها ودنياها؟

٦٥ ـ مما يؤكد أن نظام الشورى هو ما كان يلتزم به الإمام علي بن أبي طالب، وعدم معرفته بنظام الوراثة الملكية العمودية في أهل البيت، دخوله عليه السلام في الشورى التي أعقبت وفاة الخليفة عمر بن الخطاب، ومحاجته لأهل الشورى بفضائله ودوره في خدمة الإسلام، ولم يذكر أو يشر إلى النص عليه أو تعيينه خليفةً من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولو كان حديث الغدير يحمل هذا المعنى لأشار الإمام إلى ذلك، وحاججهم بما هو أقوى من ذكر الفضائل.

لقد كان الإمام علي يؤمن بنظام الشورى، وأن حق الشورى بالدرجة الأولى هو من اختصاص المهاجرين

والأنصار، ولذلك فقد رفض، بعد مقتل عثمان، الاستجابة للثوار الذين دعوه إلى تولي السلطة، وقال لهم: ليس هذا إليكم... هذا للمهاجرين والأنصار، من أَمَّره أولئك كان أميراً.

وعندما جاءه المهاجرون والأنصار فقالوا: امدد يدك نبايعك، دفعهم فعاودوه، ودفعهم ثم عاودوه فقال: دعوني والتمسوا غيري واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيرٌ خير لكم مني أميرٌ، ومشى إلى طلحة والزبير فعرضها عليهما فقال: من شاء منكما بايعته، فقالا: لا، الناس بك أرضى، وأخيراً قال لهم: فإن أبيتم فإن بيعتي لا تكون سراً ولا تكون إلا عن رضا المسلمين، ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني فليبايعني.

ولو كانت نظرية النص والتعيين ثابتة ومعروفة لدى المسلمين، لم يكن يجوز للإمام أن يدفع الثوار أو ينتظر كلمة المهاجرين والأنصار، كما لم يكن يجوز له أن يقول أنا لكم وزيرٌ خير لكم مني أميرٌ، ولم يكن يجوز له أن يعرض الخلافة على طلحة والزبير، ولم يكن بحاجة لينتظر بيعة المسلمين[١].

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٤٥٠) و«تطور الفكر السياسي الشيعي» (٥٧ ـ ٦٢).

٦٦ ـ ذكر الشريف المرتضى أن العباس بن عبد المطلب خاطب أمير المؤمنين في مرض النبي ﷺ أن يسأله عن القائم بالأمر بعده، فإن كان لنا بينه، وإن كان لغيرنا وصى بنا، وأن أمير المؤمنين قال: دخلنا على رسول الله ﷺ حين ثقل، فقلنا يا رسول الله استخلِف علينا، فقال لا، إني أخاف أن تتفرقوا عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون، ولكن إن يعلم الله في قلوبكم خيراً اختار لكم[1].

وهذه الرواية تبين أن الشريف المرتضى وطائفة من علماء الشيعة في زمانه لم يكونوا يرون النص الجلي في حديث الغدير، وأما هذه الرواية فهي قريبة في معناها مما أخرجه البخاري عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَبَا حَسَنٍ، كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللهِ بَارِئاً، فَأَخَذَ بِيَدِهِ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ وَاللهِ بَعْدَ ثَلَاثٍ عَبْدُ العَصَا[2]، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَرَى رَسُولَ اللهِ ﷺ سَوْفَ يُتَوَفَّى مِنْ وَجَعِهِ هَذَا، إِنِّي لَأَعْرِفُ وُجُوهَ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ عِنْدَ المَوْتِ، اذْهَبْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ

(١) ينظر: «الشافي» للمرتضى (٤/ ١٤٩، ٣/ ٢٩٣).

(٢) عبد العصا: كناية عمن يصير تابعاً لغيره، والمعنى أنه يموت بعد ثلاث وتصير أنت مأموراً عليك. ينظر: «فتح الباري» (٨/١٤٣).

فَلْنَسْــأَلْهُ فِيمَنْ هَذَا الأَمْرُ، إِنْ كَانَ فِينَا عَلِمْنَا ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا عَلِمْنَـــاهُ، فَأَوْصَى بِنَـــا، فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنَّـــا وَاللهِ لَئِنْ سَأَلْنَاهَا رَسُـــولَ اللهِ ﷺ فَمَنَعَنَاهَا لَا يُعْطِينَاهَا النَّاسُ بَعْدَهُ، وَإِنِّي وَاللهِ لَا أَسْأَلُهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ[1].

فكلا الروايتين الشيعية والسنية تدلان على أن النبي ﷺ لم يوص ولم يعين خليفة من بعده.

٦٧ ـ رأيت فيلـــم «روح الله» والذي يصور حياة الســـيد الخميني، وكان فيلماً رائعاً في إعداده وإخراجه، وتوثيقه لحياة الخميني، وتقديم جوانب مهمة من شخصيته، وكان مما لفت انتباهي إبرازُ الفيلم لموقفين مهمين للخميني في آخر حياته.

الأول: أن الخمينـــي أوصـــى بعدم توليـــة ابنه أحمد منصبه من بعده، ولم يرشحه لأي منصب مهم في الدولة، ولم يرشح أحداً من أقاربه لوراثة منصبه.

الثاني: أن الخميني أرسل في مرض موته إلى إمام قريته خُمين أن يجمع أملاكه التي ورثها عن والده في قريته، ويتبرع بها على الفقراء والمحتاجين، ولم يدخرها لورثته من بعده.

وقُدِّمت هذه المواقف في ســـياق إظهار مناقب السيد الخميني وميزاته، ولا شك أنها مواقف إيجابية، ومميزات شخصية لا توجد عند كثيرين من أصحاب النفوذ.

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٤٤٧).

ولكن العجيب أن هاتين الخصلتين الشريفتين وهما عدم إيثار أحد من القرابة بمنصب، وعدم توريث المال للقرابة هما ما يثبته المسلمون كافة لنبيهم محمد ﷺ فيعتقدون أنه لم يوص بالخلافة لأحد، ولم يورث ماله لأحد، وقال: «**نَحْنُ مُعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُوَرَّثُ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ**»[١]، فخالفهم متأخروا الشيعة بعد ذلك وقالوا: بل أوصى بالخلافة لعلي، ووَرَّث ماله لفاطمة، فكيف أثبَتوها منقبةً للخميني ونفوها عن المصطفى ﷺ ؟!

٦٨ ـ عندما ننظر في مرويات الإمام علي عليه السلام عند الشيعة والسنة فإنا لا نجد فيها ذكراً لوصاة الغدير ولا خبراً عنها، وهذا كتاب «نهج البلاغة» الجامع لخطب أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام وكلماته ورسائله ووصاياه، وبلغت (٣١٩) رواية، وليس فيه ذكر من قريب ولا بعيد للوصية في حديث الغدير ولا تذكير بها.

وهذه مروياته عليه السلام في كتب أهل السنة والتي تبلغ في مسند الإمام أحمد (٨١٨) رواية، وليس فيها كلِّها ذكرٌ لوصية الغدير، فهل يعقل أن تكون هناك وصاة لعلي عليه السلام ثم لا يذكرها الوصي ولا يُذكِّر بها، ولا يناشد من خالفه بعهد رسول الله إليه فيها.

---

(١) تقدم.

وهل هناك من هو أولى بروايـــة الوصية ممن أُوصِيَ إليه فيها، وأُخذ العهد له بها.

فإذا لم يوجد عنه خبرٌ ولا ذكرٌ ولا روايةٌ لهذه الوصية علمنا يقينا أنه لم تكن هناك وصية ولا عهد.

إذ هو أحق وأولــى بروايتهــا، فهو أقــرب الناس إلى رسول الله ﷺ يوم الغدير، يده في يده، وأذنه أقرب أُذنٍ إلى فمه، والحديث في الخطبة عنه، والمناشدة له، فكيف يُوصى إليه ثم لا يروي هذه الوصاة ولا يَذْكرها ولا يناشدُ بها؟!

وبعد فإن هذا وما قبله كلَّه يدل يقيناً لا شك فيه أن الوصية يوم الغدير لم تكن عهداً إلــى علي عليه السلام بالولاية على الناس، ولكنها عهدٌ إلى الناس بتولي علي ومعرفة حقه ومكانته.

وأن علياً عليه السلام أتقى لله وأبر من أن يعهد إليه رسول الله ﷺ بوصية ثم لا يتصدى لها ولا يقوم بها.

وأن صحابة رســـول الله ﷺ الذين رضـــي الله عنهم ورضوا عنه أتقى وأبر من أن يعهد إليهم النبي ﷺ بعهد ثم لا يفوا به ويلتزموه ويؤدوه كما عَهِدَ إليهم.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

الغَدِير وفريضة التفكير

لا يصح أن نــروي تاريخنـــا كما تُـــروى الحكايات والأســـاطير، فلا نُعْمِل عقولنا فيما نروي، ولا نفكِّر فيما نعتقد، وبخاصة إذا روينا عن نبِّينا المصطفى ﷺ، وعن سيِّدنا ووليِّنا عليٍّ المرتضى.

وكان ما نرويه يعقد في قلوبنا إيمانـــاً نعتقده، وديناً ندين اللهَ بـــه، ويُثمر في مشـــاعرنا حبّاً وبغضـــاً، وولاءً وبراءً، ويوجِّه طريقنا في مسيرنا إلى مصيرنا الخالد في الدار الآخرة.

إن إيمان الإنســـان ودينه وطريق ســـيره إلى الله تعالى يجب أَلَّا يكون بمنأى عن عقله وتفكيـــره؛ فالعقل مناط التكليف، والتفكير فريضة إســـلامية، وأهـــم ما أُعمِل فيه العقل وأثمنُهُ وأخطرُهُ: قرارُ الإنســـان فـــي تصحيح تدينه وتوجهه إلى الله.

ولا يصح أن يُعمِل الإنسان عقله في أمور دنياه، ويعطِّلَ عقلَه ويطفئَ تفكيرَه في أمر دينهِ وآخرتِه.

وما استُنْفِرَ العقل واستُثير وعُظِّم وأُعمل كما استُنْفِرَ وأُعمل في آيات القرآن؛ وذلك أن التفكير وإعمال العقل يُوجب الإسلام وتصحيح التدين، كما أن الإسلام يُوجب التفكير وإعمال العقل.

ولا يمكن أن يأتي في الدين ما يحيله العقل ويرفضه، وإن أتى فيه ما لا يفهمه العقل ولا يدركه؛ فإن الشرع يأتي بما لا يدركه العقل، ولكن لا يمكن أن يأتي بما يرفضُهُ وينكرُه العقل، كما قيل: يأتي الشرع بمَحَاراتِ العقول، ولا يأتي بمُحالات العقول.

إنَّ القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه، قال تعالى:

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، وقال سبحانه: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾، وقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾.

بهذه الآيات وما جرى مجراها تقـرَّرت ـ ولا جرم ـ فريضة التفكير في الإسـلام، وتبيَّن منهـا أن العقل الذي يخاطبه الإسـلام هو العقل الذي يعصم الضمير، ويدرك الحقائق، ويميِّـز الأمور، ويوازن بين الأضـداد، ويتبصَّر ويتدبَّر ويحسـن الادِّكار والرَّوِيَّة، وأنه هـو العقل الذي يقابله الجمود والعنـت والضلال، وليـس بالعقل الذي قصاراه من الإدراك أنه يقابل الجنون.

والذي ينبغـي أن نثوب إليه مرة بعد مـرة أن التنويه بالعقل على اختلاف خصائصه لـم يأت في القرآن عَرَضاً ولا تردَّد فيه كثيراً من قبيل التكـرار المعاد، بل كان هذا التنويـه بالعقل نتيجـة منتظرة يسـتلزمها لُبـاب الدين وجوهره، ويترقَّبها من هـذا الدين كل مَـن عرف كُنهه، وعرف كُنه الإنسان في تقديره.

إن أعظم ما يعطِّـل العقل ويطفئ وهـج التفكير في أخطر القضايا وأهمها في حياة الإنسان، هو تقليد الآخرين وتحميلهم مسؤولية إيمانا وديننا.

وقد يكون مَن نُلقي إليه قياد اعتقادِنا سلفُ آبائنا، أو مجتمعُنا المحيطُ بنا.

وإن الإسلام ليَأْبَى على المرء أن يحيل أعذاره على آبائه وأجداده، ويَنْعَى على الذين يستمعون الخطاب أن يُعْفوا أنفسهم من مؤونة العقل؛ لأنهم ورثوا من آبائهم وأجدادهم عقيدة لا عقل فيها.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

إن علينا أن نَبَرَّ الآباء ونكون أوفياءَ لهم، ولكن البر بهم غير الضلال معهم على غير بصيرة.

والعقلاء هم الذين يعرفون موضع هذا وموضع ذاك.

وكذا يقال في استتباع مجتمعنا المحيط بنا فيما نؤمن به دون أن نُعْمِلَ عقولنا فيه تمحيصاً وتحقيقاً. وإن التحرُّرَ من سلطة المجتمع المحيط بنا يحتاج إلى يقظة فكرٍ، وقوة إرادةٍ، وقدرةٍ على المجاهدة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

وحين يكون إعمال العقل أمراً من أوامر الخالق يمتنع على المخلوق أن يعطِّل عقله مرضاة لمخلوقٍ مثله، أو خوفاً منه، ولو كان هذا المخلوق جمهرة من الخلق تغمرنا وتحيط بنا من حولنا[1].

---

(١) ينظر: «التفكير فريضة إسلامية» للأستاذ عباس العقاد، وفي هذا الفصل قبسات عدة منه.

إن الذين يحملون نعوشنا إلى قبورنا سيسلموننا فيها ويعودون لنواجه وحدنا حصيلة عمرنا.

إن مَن حولنا لن يكونوا معنا حينما نُبعث من قبورنا وحدنا: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾.

إن كل مَن حولنا لن يأتوا معنا حينما نأتي ربنا فرادى:

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

إن كل مَن حولنا لن يكونوا معنا يوم القيامة فـ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

إن كل مَن يجادلوننا لن يجادلوا عنا: ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾.

إننا لن نُسأل عن اتِّباع أحد، مهما عَظُم وعُظِّم، إلا رسولنا ﷺ، وسنسأل عنه وحده لا عن غيره: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

أفلا نحتاج إلى إعمال العقل، وبذل الجهد، واستفراغ الوُسع؛ حتى نظفر بطُمأنينة اليقين أننا حقَّقنا الاستجابة لمَن سنُسأل عن إجابته؟

ولن نستشعر برد يقين الهداية إلا إذا استوهبناها ممن يملكها ويُنْعِمُ بها، لَعلَّنــا أن نكون ممن يقولون غداً على أرائك الجنة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾.

وأن يكون ســؤالنا الهداية من ربِّنا بصدقٍ وتجرد، وتســليمٍ وانقياد؛ حتى يســدِّد عقولنا، وينير بصائرنا، ويهدي قلوبنا.

اللهمَّ اهدنا فيمَــن هديت، ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، واهدنا لما اختلف فيه من الحــقِّ بإذنك، إنك تهدي مَن تشاء إلى صراط مستقيم.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تكوين الكتاب

١ ـ تكونت فكرة الكتاب أثناء مذاكرة مع أخي أبي هاني حمد الغمـــاس، فاقترح الفكـــرة عـــام (١٤١٧هـ)، ومنذ ذلك الحين وهي تربو كلما أعملتُ الفِكر فيهـــا تأمُّلاً، أو تتبَّعُت موضوعهـــا بحثـــاً، أو ألقيتُها حديثـــاً، أو تذاكـــرتُ فيها مع صديقٍ، فائْتَلفَ من ذلك هذه الضميمة بين يديك.

٢ ـ تذاكـــرتُ الموضوع وهو فكرة فـــي طور التكون مع إخوتي مـــن الباحثين والمهتمين فتوسَّـــع مجالـــه وتحدَّدت معالمـــه، ثم عرضتُـــه بعد اكتمالـــه على جمع مـــن إخوتي ومشايخي، فاســـتفدتُ من نظرتهم تسديداً وتصويباً وإضافةً، فأتممتُ واستدركتُ، فالله يشـــكر جهدهم، ويتولَّى جزاءهم، ولا يزالُ المرءُ قليلاً بنفسه كثيراً بإخوانه.

٣ ـ اعتمدتُ في سياق الأحاديث في الكتاب على جمع الروايات في ســـياق واحد، على نحو ما صنعتُ في كتاب: «**كأنـــك معه**»، و«**قصص نبويـــة**»، فالعزو إلـــى مجموعة من المصـــادر الحديثية الجامعـــة هو للنص الذي يكون ســـياقه

متحصِّلاً من مجموعها، وإن كان مفرَّقاً بينها غير مجتمع في واحد منها، وقد بسطتُ الحديث عن هذا المنهج في كتاب: «**كأنك معه**» فصل: «**ما بعد الكتابة**» (ص ٢٠٣).

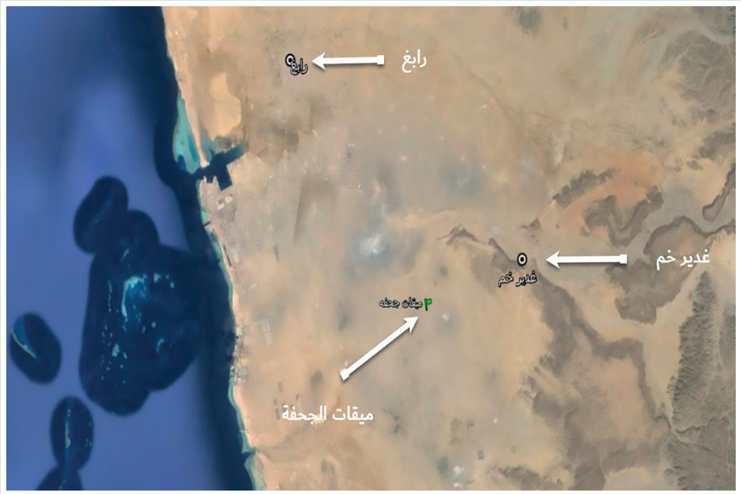
٤ ـ اجتهدتُ في اختيار النصوص الصحيحة ما أمكن، وقد أُورد رواياتٍ وأخباراً في سندها بعض الضعف، هي كالتتمَّة لما في الأخبار الصحيحة، إذا لم يكن في متنها نكارة ظاهرة؛ وذلك أن جمع الأخبار إلى بعضها يكشف عما يستنكر ولا يأتلف مع جملة ما صح منها، كما أنه يَجبر ـ أحياناً أخرى ـ ضعف بعض ما ورد بإسناد فيه مقال؛ لوجود شواهد لمعناه، أو لأن سياق الأخبار يقتضيه، ونحو ذلك.

٥ ـ لم أعمد إلى الاستقصاء في البحث بما يُفضي إليه ذلك من تعمق وتشَعُّب، ولكن قصدت إلى جمع روايات الحديث، وعرض القصة مكتملة بتداعياتها القبْلية والبعدية، مع إظهار مشاعر الحب، وإعلان الموالاة لِمَن أُمرنا بحبِّه، وفُرضت علينا موالاته، مولانا وحبيبِ ربِّنا ونبيِّنا: أميرِ المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالب عليه السلام، مع الاعتناء بوضوح الفكرة، وسلاسة السياق، واختصار القول ما أمكن، والاجتهاد في تحرِّي مراد نبيِّنا فيما قال وأمر، سائلاً اللهَ لي ولكم الإخلاص في القصد، والصدق في القول، والصلاح في العمل، ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

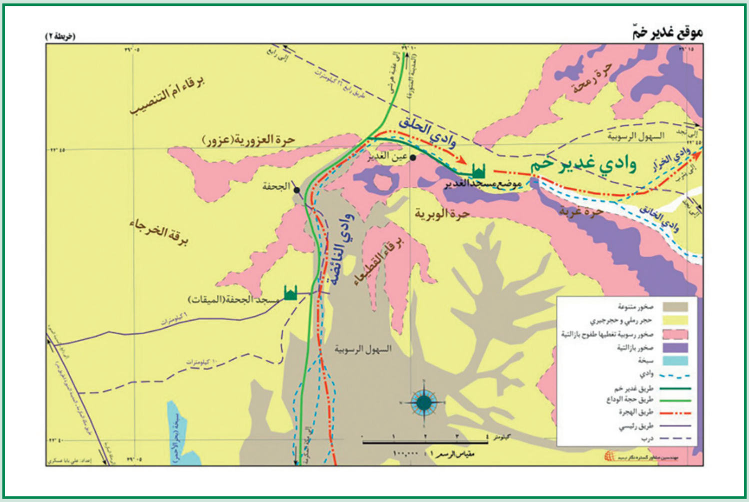
الخرائط والصور



موقع غدير خم على طريق حجة الوداع



صورة جوية يظهر فيها غدير خم والجحفة



خريطة غدير خم وما حوله



وادي الجحفة الذي يقع على شفيره غدير خم



صورة قديمة لغدير خم



صورة قديمة لحوض الغدير



صورة قديمة لمكان الغدير بعد أن دفنه السيل



مع الشيخ سالم الغانمي، والأخ عابد البلادي، والابن صالح الأنصاري
من أهالي رابغ العارفين بالمنطقة عند مكان الغدير



مكان الغدير على حافة جسر قطار الحرمين



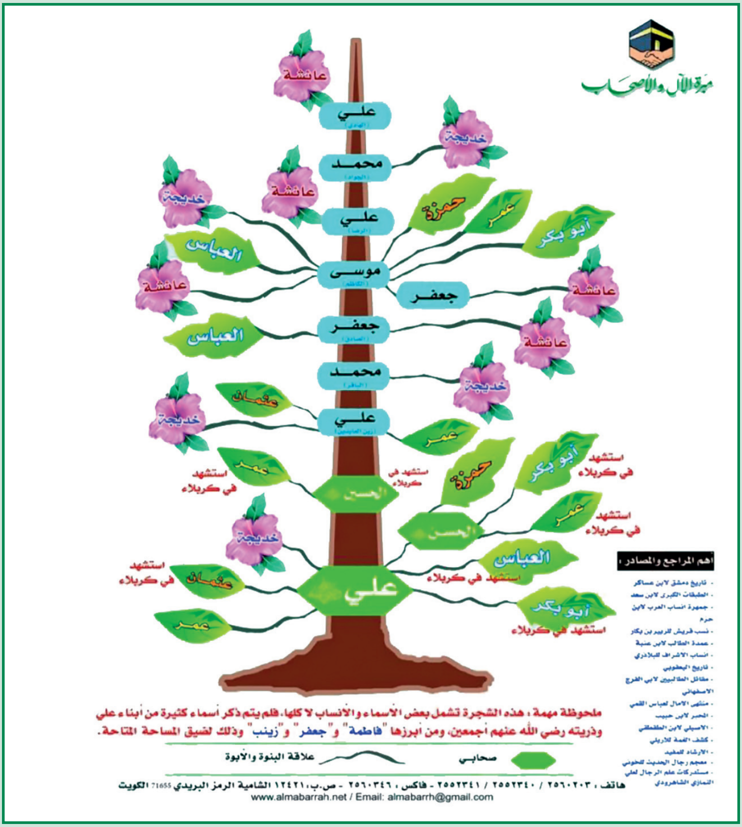
شجرات السمر في الوادي حول غدير خم،
وقد خطب النبي ﷺ تحت شجرتي سمر



دوحات السمر حول غدير خم



الشيخ المؤرخ د. أحمد النعماني يقف في المكان الذي يقال
إنه مصلى النبي ﷺ عند غدير خم



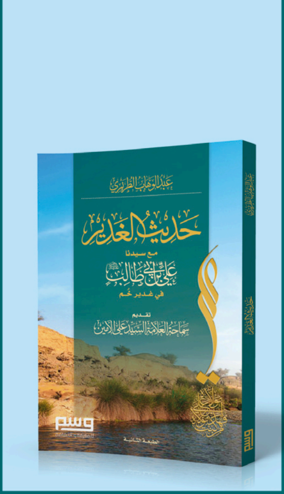
من سمي بأسماء الخلفاء من آل البيت النبوي

كتب للمؤلف

١ ـ قصص نبوية.
٢ ـ الحياة النبوية.
٣ ـ اليوم النبوي
٤ ـ أماكن نبوية.
٥ ـ الآثار النبوية.
٦ ـ كأنك معه.
٧ ـ سماء الذاكرة.
٨ ـ القبر المقدس.
٩ ـ سنام الإسلام.

www.altriri.net
: altriri@gmail.com
: /altriri
: @Abdulwahab.altriri
: /c/AbdulwahabAltorairy
: t.me/altriri
: abdulwahabaltriri
: +905467723779

فهرس الموضوعات



هناك الغَدِير واسطة الطريق بين مكة والمدينة، أرضٌ بين خير أرضين.

هناك نزل رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه وحوله آلُ بيته وأصحابه، فوقف واستوقف، ونادى وجمع، وخطب وخاطب، لتصيخ الدنيا لبلاغ الرسول حين بلَّغ، ووصاته حين أوصى، ومناشدته حين ناشد.

وذلك في آخر خُطَبِه، وفي آخر عمره.

وبين أيديكم في ورقات هذه الرسالة:

نقف بأرواحنا، كما وقف الذين استوقفهم نبيُّنا..

وننصت بمشاعرنا، كما أنصت الذين استنصتهم..

فنتلقى بقلوبنا حبًّا وتعظيمًا لما قاله نبيُّنا، ونتلقَّى بعقولنا تفكُّرًا واعتبارًا فيما رُوي لنا عنه في هذه الموقف.

فلا مشاعر القلوب تحجب تفكُّر العقل، ولا تفكُّر العقل يطفئ وهج المشاعر..

فإلى دَوْحات الغَدِير، فثمة حدث وحديث، وبلاغ ووصاة...

9 786057 131973